القدس عربية

شهادات من التاريخ

مجموعة كتاب

الكتاب: القدس عربية .. شهادات من التاريخ

الكاتب : مجموعة كتاب

الطبعة : ٢٠١٦



الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

القدس عربية .. شهادات من التاريخ – الجيزة –

وكالة الصحافة العربية، ٢٠١٦.

تدمك : ١- ٢٠٦ -٤٤٦ -٩٧٧-٩٧٨

٠٠ ص ، ٠٠ سم .

١- دارسة وشهادات

أ. العنوان **رقم الإيداع / ٤٨٠١- ٢٠١٦**

القدس عربية

شهادات من التاريخ



مقدمة

القدس .. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بالرغم من محاولات البعض المتماهية مع الدعاية الصهيونية ، للتشكيك في عروبتها وارتباطها بمقدسات المسلمين.

فالقدس ليست مجرد مدينة على الخريطة ، بل هي زهرة تسكن قلب كل مسلم وكل عربي ، هنا على أرض القدس عاش الأنبياء والرسل أو مروا بها ، وإله أسرى بالنبي الخاتم صلى الله عليه وسلم ، ومنها عرج به إلى السماء ، في معجزة إلهية خص الله بها خاتم الأنبياء والمرسلين .

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية بمنطق التاريخ والجغرافيا، فأقدم الحفريات الأثرية تؤكد أن أول اسم كتبت به مدينة "القدس" هو أوروسالم أو أوروشالم، الذي ورد فيما يسمى بنصوص اللغة التي تم اكتشافها في مصر.. وهي ترجع في الغالب إلى عام (١٨٧٩ – ١٨٤٢ ق.م) وهذا الاسم (أوروسالم) اسم مركب مكون من مقطعين الأول (أور) ويعني أسس أو أنشأ ، والثاني (سالم) اسم، فيكون معنى الاسم المركب (أسسها سالم) .. وهذا الاسم عموريا – حسب ما

جاء في الكتاب المقدس – أن العموريين هم سكان كنعان العرب الأصليين .. ولغتهم الكنعانية .. وهنا يمكن التأكيد على أن القدس أسسها العموريون في عام ٣٠٠٠ ق.م.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية لأن العموريين والكنعانيين العرب منشئي المدينة شعبانساميان، والمعروف قديماً أن الشعوب السامية خرجت من جزيرة العرب ، لذلك يطلق عليها بعض المؤرخين الشعوب العربية. وقد تعرضت القدس أو "يبوس" لغزو العبرانيين عدة مرات، ولكنهم لم يتمكنوا من دخولها إلا في عام ١٠٠٠ ق.م، وبالرغم من أن العبرانيين تمكنوا من القضاء على اليبوسيين والكنعانيين في الجانب السياسي ، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على حضارتهم أو على كيانهم الاجتماعي ، إذ ارتحل الكنعانيون إلى القرى المجاورة لمدينتهم ، وهناك شكلوا مجتمعات كنعانية نشطة ظلت تحافظ على طابعها الكنعاني المتوارث ، وقد حدا هذا ببعض المؤرخين إلى القول بأن سكان القرى المجاورة لمدينة القدس في وقتنا الحاضر هم من بقايا السكان الكنعانيين الذين كانوا أصحاب البلاد ، قبل أن يتمكن العبرانيون من احتلالها .

كانت "يبوس" عندما دخلها العبرانيون محصنة، فقد امتاز سكانها بتراث حضاري متواصل ، وكانوا أهل استقرار وزراعة، في حين أن العبرانيين كانوا رعاة عندما جاءوا إلى فلسطين ، فكان العبرانيون يبادلون قطعانهم

بالأدوات الفخارية والألبسة القماشية، وغيرهما من مصنوعات الكنعانيين العرب.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية، ولم يكتب للدولة العبرانية أن تستمر طويلاً ، فقد تجزأت في عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما : إسرائيل ويهوذا .. واتخذت مملكة إسرائيل مدينة السامرة عاصمة لها – وهي مدينة بجوار نابلس – بينما اتخذت مملكة يهوذا أورشليم عاصمة لها .. وامتد حكم الأولى من عام ٩٢٧ ق.م حتى ٧٢١ ق.م ، فقد قام الآشوريون بتدمير مملكة إسرائيل في القرن الثامن قبل الميلاد وأسروا سكانها "السبي الأول" ، وتحطمت المملكة الثانية في عام ٥٨٧ ق.م القرن السادس قبل الميلاد على يد "نبوخذ نصر" الذي حطم هيكل سليمان ومدينة القدس ، وأخرج سكان المدينة منها، محققاً ما أطلق عليه (السبي الثاني) ، حيث أخذهم إلى بابل كأسرى، بعد أن ذبح قائدهم وقتل أبناءه ، وبذلك انتهى عصر السيادة اليهودية على القدس وفلسطين بعد ٣٠٠ عام فقط.

بعدها احتل الرومان القدس وما حولها من مدن حتى عام ٦٣٦ م / ١٥ هـ ، عندما فتحت المدينة أبوابها للمسلمين حيث كان الفتح الإسلامي لها.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية، بعد أن فتحت القدس أبوابها للمسلمين دون مقاومة، بعد أن قاست لقرون

تحت بطش وظلم المحتلين وعاث فيها اليهود فسادا واضطهادا لسكانها وقتلا للمسيحيين فيها ضمن طقوس وثنية يهودية منحرفة.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية، لأن الفتح الإسلامي للقدس لم يكن خطوة خارج سياق التاريخ، فقد كانوا مدفوعين لأسباب كثيرة لهذا الفتح.. ترتبط بمجالات اقتصادية وأخرى استراتيجية، فقد أسرى بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، وجاء ذكر ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله. لنريه من آياتنا . إنه هو السميع البصير} سورة الإسراء. ذلك هو المسجد الأقصى الموجود في القدس منذ قديم الأزل.. بقعة مطهرة يعبد فيها الله تعالى.. وسمي بالمسجد الأقصى القديم.. وتجسدت قدسية القدس للمسلمين في إسراء النبي محمد إلى الصخرة المقدسة ، وبها صلى الأنبياء والرسل، فهناك حديث قدسي عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، يوضح مكانة القدس عند الله سبحانه وتعالى بقوله "أنت جنتي وقدسي ، وصفوتي من بلادي، ومن سكنك فبرحمة مني، ومن خرج منك فبسخط مني عليه" والحديث يوضح أن الله تعالى اختص بساكني هذا المكان الطاهر من يرضي أمانته واستحقاقه لشرف العيش فيه.. وورد في الحديث الشريف " لا تشد الرحال إلاَّ لثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى". وروي عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال : وسط الأرضين أرض بيت المقدس وأرفع

الأرض كلها إلى السماء بيت المقدس.. وروي عن أبي هريرة أن الرسول قال : من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء..وعنه أيضاً أن الرسول قال : "أربع مدائن من الجنة .. مكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس". وفي الصحيحين عن أبي ذر الغفاري قال : سألت رسول الله عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال المسجد الحرام .. قلت ثم أي ؟ قال المسجد الأقصى، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية منذ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب نفسه رحب بحقن الدماء، وسافر إلى بيت المقدس وحده ولم يكن معه سوى خادمه.. وبعد قدومه جاء له البطريرك حاملاً الصليب المقدس على صدره ، وجاء معه عدد من الأساقفة والقسيسيين والشمامسة والرهبان حاملين الصلبان، ولما انتهوا إلى مقام الخليفة خف للقائهم وتقبلهم بمزيد من الاحتفاء والإكرام. ثم تحدثوا في شروط التسليم وكتب لهم وثيقة الأمان التالية التي عرفت بالعهدة العمرية : "بسم الله الرحمن الرحيم". هذا ما أعطى عبدالله عمر أمير المؤمنين أهل "إيلياء" من الأمان: أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، سقيمها وبريئها وسائر ملتها، أنه لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم، ولا ينقص منها ولا من خيرها، ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما تعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن وعليه مثل ما

على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم. فمن شاء منهم قعد ، وعليهم مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم، ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم ، وعلى ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية، كتب سنة ١٥ للهجرة " أي سنة ٦٣٦ م، شهد على ذلك خالد بن الوليد وعبدالرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان".

القدس .. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية منذ أن تجول عمر في المدينة ، فرأى أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي لها، أولاً وصك النقود النحاسية التي على وجهيها عبارة "محمد رسول الله عليه وسلم" ورسم سيفا وعلى الوجه الآخر "إيليا" و"فلسطين" وحرف"ميم" والهلال، وعمل عمر على تدوين الدواوين وتقسيم البلاد إلى مناطق.. وتعيين أمير لكل منطقة وتعميم اللغة العربية بها ، ثم رتب أمور البريد والجند وأسس الحسبة (البلدية) للإشراف على المكاييل والموازين ، وأقيمت الطرق الجديدة مثل طريق القدس– أريحا وطريق القدس – الرملة.. وغير ذلك من التنظيمات الإدارية ، ثم قام عمر بن الخطاب بوضع التاريخ الهجري.

القدس.. زهرة المدائن كانت عربية منذ فجر التاريخ وستبقى عربية .. بعد أن حكم المسلمون القدس منذ عام (٦٣٦م) أي منذ الوثيقة العمرية والتي كانت صورة فريدة من صورة التسامح الإسلامي، والتي كانت نموذجا لقانون يقرر حقوق الإنسان قبل أن يعرف العالم هذه الحقوق.. وقبل أن يعرف مبادئ القانون العام. وقد توالت عصور التاريخ الإسلامي والمسلمون يعاملون أبناء الديانات الأخرى في القدس وغيرها أفضل معاملة في التاريخ ، حتى أن المؤرخ الإنجليزي الكبير "أرنولد توينبي" اعتبر ظاهرة التسامح الإسلامي ظاهرة فريدة وشاذة في تاريخ الديانات . وتتوالى صفحات التاريخ في القدس ، فلا نكاد نجد فيها انقطاعاً لفعالية الروح الإسلامية المتسامحة العادلة التي تقوم على حراستها دروس المسجد الإبراهيمي والحلقات العلمية الإسلامية في المسجد الأقصى ومسجد الصخرة.. ولا تنطوي صفحة مضيئة إلا لتبدأ أخرى تحت الحكم الإسلامي، فتعاقب على القدس الخلفاء – وهي تحت حكمهم – فجاء بنو أمية (٢١ هـ– ٦٤١م) وتلاهم بنو العباس (٧٥٠م) وبنو طولون (٨٧٨م) والإخشيديون (٩٣٨م) والفاطميون (٩٦٦م) والأتراك السلجوقيون (١٠٧٢م) والأرتقيون (١٠٧٧م). ولم يتعرض تاريخ القدس لأحداث دموية واضطهاد ديني منذ بداية الفتح الإسلامي، إلا في تلك الفترة التي استولى فيها الصليبيون على بيت المقدس (١٠٩٩– ١١٨٧م)– (٤٩٢– ٥٧٣هـ) وهي فترة شغلت من هذا التاريخ نحو تسعين سنة.

مجموعة كتاب



شهادات عن القدس

د. محمد عمارة

الكاتب والمفكر الإسلامي

أمانـة عمـر .. تنتظـر صـلاح الـدين فـي الألـف الرابعـة قبـل الميلاد بني الكنعانيون – أهل فلسطين – مدينة "يوروسالم " أو " يوروشـالم " ومـن اسـمها هـذا جـاءت تسـميتها الغربيـة Jerusalemt فـي اللغـات إلـى ونانيـة واللاتينيـة والألمانيـة والفرنسية والإنجليزية وغيرها .. ومن هذا الاسم أيضاً جاءت تسميتها في "العهد القديم " ب " أورشليم " .. ولقد بدأ تاريخ العبـرانيين الاتصـال بهـذه المدينـة الكنعانيـة، عنـدما اسـتولي عليها داود عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، أي بعد نحو ثلاثة آلاف عام من تأسيسها على يد الكنعانيين..

ولم تدم هذه السيطرة العبرية على هذه المدينة لأكثر من أربعة قرون – (٤١٥عاماً) – .. أي إلى التاريخ الذي هدمها فيه البابليون الذين أزالوا مملكة يهوذا من الوجود سنة ٥٨٥ ق .م وبدأوا حقبة " السبي البابلي " للعبرانيين، وحتى بعد سماح الفرس لبعض العبرانيين بالعودة إلى أرض كنعان كانت عودة الذين عادوا منهم اليها، عودة استيطان، بلا دولة وبلا سيادة على مدينة " أورشليم " .

ولكن هذا " الوجود اليهودي " قد عاد وأثار حفيظة الدولة الرومانية، فدمروا هذه المدينة مرتين الأولي على يد الإمبراطور " تيطوس " Titus(٣٩ – ٨١م) في سنة ٧٠ م .. والثانية على يد الإمبراطور " حدريانوس " سنة ١٣٥م وذلك عندما محاها محواً تاماً، بل وغير اسمها إلى " ايليا كابيتولينا" أي ايليا العظمي وهو الاسم الذي ظل علماً عليها حتى الفتح الإسلامي لها (١٥، ٦٣٦ م) في خلافة الراشد الثاني الفاروق عمر بن الخطاب (٤٠ ق. هـ – ٢٣هـ ، ٥٨٤ – ٦٤٤م) .

وفي السنوات الأربعمائة التي سيطر فيها العبرانيون على هذه المدينة احتكروا قداستها لمقدساتهم وحدهم، دون غيرهم من الشعوب التي كانت تقطن أرض كنعان في ذلك التاريخ، وهي الشعوب التي بنت هذه المدينة قبل ثلاثة آلاف عام من دخول داود عليه السلام إليها وظلوا يمارسون هذا الاحتكار بل والاضطهاد، مع النصرانية والنصاري منذ بعثة المسيح عيسى بن مريم، عليه السلام .. وبعد تدين الدولة الرومانية بالنصرانية (في القرن الرابع الميلادي) كانت قدسية هذه المدينة " ايليا " وقفا على النصاري، الذين اضطهدوا اليهود وجعلوا أماكن "هيكلهم" – بعد هدمه –مجمعاً للقمامة والقاذورات، تجلب اليه من داخل المدينة وخارجها حتى لقد طلبوا من عمر بن الخطاب عند تسلمه للمدينة بعد فتحها أن يضمن لهم " ألا يساكنهم فيها أحد من اليهود " .. ذلك هو تاريخ هذه المدينة قبل الإسلام .. لكن فتح الإسلام والمسلمين لهذه المدينة " يوروسالم " أورشليم – إيليا" كان بداية عصر جديد ..

فالإسلام والمسلمون هم الذين أُعطوا لهذه المدينة القداسة والقدسية حتى في اسمها الجديد، فسميت بـ " بيت المقدس " و " القدس " منذ ذلك التاريخ .. ولأول مرة في تاريخها الديني، تصبح قداستها عامة لجميع أمم الرسالات السماوية اليهودي ـة والنصرانية ..والإسلام وليست حكراً لأبناء دين دون غيرهم من أبناء الديانات الاخرى فأماكن المقدسات اليهودية المهدومة منذ قرون، والتي جعلها النصارى في العصر الروماني "مجمعاً للقمامة والقاذورات " ذهب إليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- بعد أن تسلم المدينة وعقد مع أهلها " العهد العمري " الشهير فوجد على الصخرة زبلاً كثيراً، مما طرحه الروم غيظاً لبني إسرائيل، فبسط رداءه وجعل يكنس ذلك الزبل وجعل المسلمون يكنسون معه الزبل وتتبع المسلمون أماكن عبادةالأنبياء السابقين واحداً واحداً، إبتداءاً من إبراهيم إلى آخر من دفن منهم في فلسطين وبيت المقدس، فأقاموا فيها المساجد وحافظوا علىقدسيتها وطهروها تطهيراً (د . اسحاق موسى الحسيني " مكانة بيت المقدس في الإسلام " كتاب المؤتمر الرابع لمجمع البحوث الإسلامية - ص ٥٧ ، ٥٨ - سنة ١٩٦٨م)

عمر يتسلم أمانة القدس

لقد أحل المسلمون هذه المدينة مكاناً فريداً تميزت به عن كل المدن التي فتحوها وذلك عندما لم يتسلمها القائد الفاتح وهو " أمين الأمة " أبوعبيدة بن الجراح (٤٠ ق هـ - ١٨ هـ ، ٥٨٤ - ٦٣٩ م) وكان تسليمها للخليفة عمر بن الخطاب الذي ركب من " المدينة المنورة " إليها ليتسلم أمانتها وليعقد بنفسه " العهد العمري " مع بطريركها " صفرونيوس " (٥١٧ هـ ، ٦٣٨ م)

.. ولتكـون لهـا، بهـذه الخصوصـية مكانـة " أمانـة الفـاروق عمـر" لـدى أمـة الإسلام! .. وهو شرف لم تحظ به مدينة من المدن التي فتحها المسلمون عبر تاريخ الفتوحات .

وبتغير اسم هذه المدينة إلى " القدس " و " بيت المقدس " رفع المسلمون عليها رايات القدسية والتقديس، وبتحرج عمر بن الخطاب عندما كان يجلس مع " صفر ونيوس" في كنيسة القيامة من أن يصلي في الكنيسة رغم دعوة البطريرك، كي لا تكون لمسلم شبهة حق في أرض الكنيسة يقيم فيها مسجداً .. بهذا الموقف العمري أضفي عمر بن الخطاب تقديس الإسلام لمقدسات النصارى .. ولم يكن عمر في ذلك "مبتدعاً " بل ولا حتى "مجتهداً " لأنه هو المؤمن بالعقيدة الإسلامية، التي لا تكتمل أركانها إلا بالإيمان بسائر الرسل وجميع الرسالات وكل الكتب التي سبقت رسالة محمد "صلى الله عليه وسلم"، على درب علاقة السماء بالإنسان { ذلك الكتاب لاريب فيه هدي للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إلى ك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدي من ربهم وأولئك هم المفلحون} البقرة ٢ – ٥ { آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله } البقرة ٢٨٥ .. وهو – عمر – الذي يتعبد بالقرآن الكريم، الذي عرض لمقدسات أمم الرسالات السماوية جميعاً فبدأ بالصوامع وانتهي بالمساجد (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز) الحج – ٤٠ .. بهذا الموقف

العمري، بدأت الحقبة الإسلامية في تاريخ المدينة فغدت قداستها عامة لعامة أبناء رسالات السماء .. فكنيسة القيامة قدس خاص بالنصاري .. ومواطن المقدسات اليهودي ة، أعاد إليها عمر والمسلمون الطهارة عندما رفعوا عنها القمامة والقاذورات وارتفعت في المدينة عمائر المساجد الإسلامية .. صنع المسلمون ذلك، لأنهم أمة الرسالة الخاتمة التي ورثت كل مواريث الأنبياء والمرسلين فكانت رسالة رسولهم اللبنة التي تممت بناء دين الله الواحد وحملت أمانة الحفاظ على سائر لبنات هذا البناء، فأمة الشريعة التي أكملت الدين الإلهي الواحد هى الحاملة لأمانة الحفاظ على مقدسات سائر شرائع هذا الدين لأنها وحدها التي تعترف بشرعية سائر شرائع هذه الأديان.

والمسلمون صنعوا ذلك مع القدس تحديداً، لأن قرآنهم الكريم قد جعل الرباط بين " القدس " وبين الحرم المكي الذي هو قبلة الأمة الخاتمة آية من آيات الله وليس مجرد رباط سياسي أو إداري يقيمه فاتحون وينقضه غزاة .. {سبحان الذي أسرىبعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير} الإسراء : ١ .. فكان الإسراء – إسراء الله بعبده ورسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى – وعروجه من الصخرة إلى سدرة المنتهي هو الإعلان الإلهي عن ختم هذه الرحلة القدسية لخطوات الأنبياء والرسل على طريق الله وعن حمل أمانة الرسالة الخاتمة أمانة الجهاد في سبيل الحفاظ على مقدسات كل الرسالات تلك التي تجسدها مدينة القدس قبل غيرها وأكثر من غيرها من المدن والبقاع .

ولقد شهد التاريخ الإسلامي للقدس بأحرف من نور على وفاء الأمة الإسلامية بهذه الأمانه التي أرادها الله والتي رمزت إليها رحلة الإسراء والتي سلمها إياها عمر بن الخطاب .. فغدت القدس منذ ذلك التاريخ مشاعة القداسة مفتوحة الأبواب لكل أبناء رسالات السماء .. ازدهرت فيها إلى جانب المساجد الإسلامية كنائس النصارى .. وأخذ اليهود يعودون إلى سكناها بعد أن حرموا من ذلك في العهد الروماني، الوثني والنصراني على حد سواء ! .. بل لقد تولت الأسر المسلمة القدسية " نظارة الأوقاف " التي أوقفها النصارى على كنائسهم، إختارهم النصارى لذلك فرعوا هذه المقدسات النصرانية على امتداد التاريخ الإسلامي .. وشاء الله أن تظل هذه الأمانة من خصائص الأمة الإسلامية والدول الإسلامية دائماً وأبداً، فعندما جمع البابا الذهبي " اربان الثاني " (١٠٨٨ – ١٠٩٩) فرسان الإقطاع الأوروبيين – الذين كانوا يتناحرون على الإمارات والجبايات ليوجه طاقاتهم القتالية ضد العالم الإسلامي، في سبيل احتلال القدس وبعد أن ضمن تمويل الحملات الصليبية من قبل المدن التجارية الإيطاليه مقابل استيلائها على طرق التجارة العالمية المارة بالوطن العربي!

وخاطب البابا هؤلاء الفرسان – في " كليرمونت " بجنوب فرنسا سنة ١٠٩٥م – فقال لهم : " أنتم فرسان أقوياء، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم، ولكن تعالوا وحاربوا الكفار " المسلمين ؟! " يامن تنابذتم اتحدوا يامن كنتم لصوصاً كونوا الآن جنوداً تقدموا إلى بيت المقدس انتزعوا تلك الأرض

الطاهرة واحفظوها لأنفسكم فهى تدر سمناً وعسلاً ؟ إنكم إذا انتصرتم على عدوكم ورثتم ممالك الشرق " !

اللصوص والمدينة المقدسة

فلما حدث واجتاح هؤلاء "اللصوص الذين صاروا جنوداً " المدينة المقدسة سنة ١٠٩٩ م، ماذا صنعوا بها ؟! لقد صنعوا ما وصفه المؤرخ المسيحي "مكسيموس مونروند " في كتابه "حرب الصليب " فقال بلغته وعبارته :

" انعقد ديوان المشورة العسكرية الصليبي فقرر أن يمات " يقتل " كل مسلم باق داخل المدينة المقدسة " !!

واستمرت المجزرة أسبوعاً كاملاً ومن هرب في البيوت والأقبية قبضوا عليه وقذفوا به من أعلي البيوت والأبراج في النار !، أما الذين احتموا بجامع عمر ابن الخطاب – الذي سبق وتحرج من مجرد الصلاة في كنيسة القيامة . فلقد غدت دماؤهم سيلا " علا إلى حد الركب، بل إلى حد لجم الخيل " – كما يقول " مكسيموس " – وفي الرسالة التي بعثوا بها إلى البابا، يبشرونه بما صنعوا قالوا مفاخرين : " إذا أردت أن تعرف ما يجري لأعدائنا، فثق أنه في معبد سليمان كانت خيولنا تغوص إلى ركبها في بحر دماء الشرقيين !!

وأبادوا المسلمين وكذلك اليهود وحولوا المسجد الاقصى إلى كنيسة لاتينية وانفردوا بالمدينة المقدسة بعد أن حفظ المسلمون قداستها بين أبناء كل الديانات!

لكن ذاكرة الأمة لم تنس، للحظة واحدة، هذه المدينة المقدسة بل لقد اتخذت منها ثقافة الأمة والتي كان الشعر لسانها المعبر وإعلامها المفصح الرمز لذلك الصراع الذي دام مع الغزوة الصليبية على امتداد قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٠ - ١٢٩١) .. وكانت الأمة تدرك أن فك أسر القدس وتحرير الاقصى واستعادة الأرض الصليبية لاسبيل إليها إلا بوحدة مصر مع المشرق العربي لتطويق الكيانات الصليبيةالمغروسة قسراً في قلب وطن الأمة، ولذلك كان التذكير بالقدس مصاحباً لكل خطوة تتحقق على طريق هذا التوحيد، فعندما تدخل جيوش السلطان نور الدين الشهيد (٥١١ - ٥٦٩ هـ ١١١٨ - ١١٧٤م) إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه ومعه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي- فتبدأ بذلك خطوات وحدة مصر بالمشرق العربي - نجد " العماد الكاتب "، وهو يهنئ أسد الدين شيركوه مذكراً إياه بالمقصد الأسمي : القدس والمسجد الاقصى فيقول لأسد الدين : " فتحت مصر، وأرجو أن تصير بها ميسراً فتح بيت القدس عن كثب " .

فإذا توجه بالتهنئة إلى السلطان نور الدين رأيناه يحدثه عن أن شروط تحرير القدس قد بدأت تجتمع - بوحدة مصر مع المشرق فيقول :

" أغز الفرنج فهذا وقت غزوهم وأحطم جموعهم بالذابل الحطم فملك مصر وملك الشام قد نظما في عقد عز من الإسلام منتظم "

فانتظام وحدة مصر والشام في " عقد الإسلام " هو شرط التحرير للقدس الأسيرة والأقصي السليب !

ونفس " الفكر الاستراتيجي " يعبر عنه " الشعر " عندما يعلن ابن عساكر بن الحسن هبة الله، أن لاعذر عن تأخير المعركة الفاصلة طالما تحققت وحدة مصر والشام في " عقد الإسلام " فيوجه الحديث إلى السلطان نور الدين قائلاً :

ولست تعذر في ترك الجهاد وقد
أصبحت تمر من مصر إلى حلب
وصاحب الموصل الفيحاء ممتثل
لما تريد، فبادر فجأة النوب

وعندما يستكمل صلاح الدين الأيوبي (٥٣٢ – ٥٨٩ هـ ، ١١٣٧ – ١١٩٣م) مقومات معركة التحرير ويحرز انتصاره على الصليبيين في غزة نجد الشاعر العماد الكاتب يحدثه عن أن فتح القدس هو الباب لتحرير سائر البقاع التي احتلها الصليبيون، فهى الرمز للصراع كله وهى البوابة لتعميم الانتصارات . يعبر العماد الكاتب عن هذه الاستراتيجية الإسلامية شعراً يتوجه به إلى صلاح الدين الأيوبي، فيقول :

غزوا عقر دار المشركين "بغزة"
جهارا وطرف الشرك خزيان مطرق
وهيجت للبيت المقدس لوعة
يطول بها منه إليك التشوق
هو البيت، إن تفتحه والله فاعل
فما بعده باب من الشام مغلق

هكذا كانت " القدس " : الرمز والمقصد والمفتاح ! ولا تزال ! وعبر " حطين " التي كانت بلغتنا " المعركة المصيرية " المقررة لوجود المنتصر و"عدم المهزوم " والتي تحدث عنها الأمير الفارس المؤرخ – الذي عاصرها – ابن شداد (٦١٣ – ٦٨٤هـ، ١٢١٧ ، ١٢٨٥) فقال : " لقد علمت كل طائفة أن المكسورة منها مدحورة الجنس معدومة النفس " ! عبر " حطين " وصلت جيوش صلاح الدين إلى أسوارالقدس، فحررها في ذكري الإسراء والمعراج – ٢٧ رجب سنة ٥٨٣ هـ ٢ أكتوبر سنة ١١٨٧م ليعيدها إلى " عقد الاسلام " الذي انتظمت فيه منذ أن أسرى الله برسوله (صلي الله عليه وسلم)، من المسجد الحرام إلى المسجد الاقصى الذي بارك فيه وحوله أرض فلسطين .

وبعد تحرير صلاح الدين الأيوبي للقدس، لم يبق –كما قال الشاعر – " باب من الشام مغلق، فتحررت الكثير من المدن والقلاع والحصون التي سبق واستولي عليها الصليبيون، وبهذا التحرير عادت القدس، كما كانت قبل الغزوة الصليبية المدينة المقدسة، والمشاعة قدسيتها – تحت السلطة الإسلامية – لسائر أبناء كل أمم ورسالات السماء !

لكن القوي الغربية التي حركت ونظمت ومولت وقادت الغزوة الصليبية قد عادت في مرحلة لاحقة وفي طور جديد لتحقيق ذات المقاصد " انتزاع الأرض التي تدر سمناً وعسلا"!! فبدأت بعد سقوط غرناطة (٨٩٧ هـ ، ١٤٩٢ م) مرحلة تطويق العالم الإسلامي عبر اكتشاف البرتغال لرأس الرجاء الصالح (٩٠٣هـ ، ١٤٩٧م) ومحاربة الجيش المصري على سواحل الهند (٩١٠هـ ، ١٥١٤م) لتسلم إلى مرحلة ضرب قلب هذا العالم الإسلامي التي بدأت بحملة

بونابرت على مصر (١٢١٣ هـ ، ١٧٩٨م) ولتؤسس منذ ذلك التاريخ " الشراكة " بين المشروع الغربي والمشروع الصهيوني، فمن نداء نابليون ليهود العالم كي يتعاونوا معه لإقامة امبراطوريته الشرقية لقاء أن يعد إلى هم " ملك بني إسرائيل " إلى وعد بلفور (١٩١٧م) إلى إقامة إسرائيل (١٩٤٨م) إلى اغتصاب كامل القدس (١٩٦٧م)، والذي بدأت به مرحلة تهويد المدينة المقدسة واحتكارها دون الذين حملوا أمانة قداستها وعمموها لكل أبناء الديانات لأكثر من أربعة عشر قرناً !

وإذا كانت ذاكرة الأمة – بواسطة ثقافتها – قد ظلت واعية بمكانة القدس في هذا الصراع التاريخي المتعدد المراحل والحلقات، مكانة " الرمز، والمقصد، والمفتاح " حتى جاء فحررها صلاح الدين الأيوبي، فإن مهمة ثقافتنا – الوطنية، والقومية، والإسلامية المعاصرة – هى إبقاء ذاكرة الأمة على وعيها الكامل بمكانة هذا القدس الشريف، ولذلك حتى يطلع الفجر الجديد بالناصر : صلاح الدين الجديد .

د. برنارد سابيلا

جامعة بيت لحم - القدس



المسيحية والقدس

في الديانة المسيحية فإن القدس هى أم الكنائس قاطبة . ذلك أن هذه المدينة قد شهدت الأحداث المتعلقة بحياة المسيح وبصلبه وبقيامته. وقد قامت في هذه المدينة الجماعة المسيحية الأولي والتي ضمت المسيح وتلاميذه، وبذلك فإن المدينة تشهد للبداية الجديدة في المسيح وهى نقطة انطلاق للمسيحية .. وللمسيحيين من أبناء فلسطين في المدينة المقدسة ووجودهم فيها تأكيد لاستمرارية البداية الجديدة في المسيح .

ويرجع بعض المسيحيين الفلسطينيين جذورهم لكنيسة القدس الأولي ويستعملون في صلواتهم وشعائرهم اللغة الأرامية التي كانت لغة المسيح نفسه . وهناك مسيحيون فلسطينيون آخرون يقطنون القدس اليوم ويعودون بجذورهم لشرقي الأردن ولغيرها من البلدان المجاورة . وبغض النظر عن الجذور والأصول فإن مسيحيي القدس يجسدون حلقة متصلة بالقدس الأرضية التي جاءها المسيح وأسس فيها جماعته الأولي .

ومع إرتباط المسيحيين الشديد بقدسية المدينة وبمغزاها الديني لهم، إلا أنهم في العصر الحديث وفي الواقع، منذ الفتح الإسلامي لفلسطين قد ارتبطوا مصيرياً بإخوانهم من المسلمين وأقاموا علاقات حسن جوار وألفة ومشاركة مبنية على احترام متبادل . وأكثر من يجسد هذا الاحترام هو الخليفة عمر بن الخطاب في أعماله وعهده لأمان المسيحيين وأماكنهم المقدسة عقب الفتح الإسلامي في عام ٦٣٨ م .كان بُعد نظر الخليفة عمر قد مهد الطريق لعلاقات ممتازة بين أتباع الديانتين واستمر المسيحيون في القدس وفلسطين يعيشون حرية دينية مكنتهم من إقامة المؤسسات التعليمية والصحية والتي وفرت خدماتها لكل السكان دون إستثناء مما زاد من الشعور المتبادل بالثقة والاحترام، وحين حلّت النكبة بأبناء فلسطين فإنها أصابت جميع الفلسطينيين ومنهم المسيحيون الذين وجد أكثر من ثلثهم، أي ٣٥ ألفاً، أنفسهم في وضع اللاجئين . وتشهد أزقة البلدة القديمة على آلام المسيحيين والمسلمين من اللاجئين الذين وفدوا إليها عام ١٩٤٨ ووجدوا فيها المساعدة دون اعتبار لخلفية دينية أو اجتماعية . وقد صهرت النكبة أبناء القدس من مسلمين ومسيحيين وعلمتهم الوقوف سوية في أوقات المحن والصعوبات، وكذلك في أيام الهدوء والاستقرار والتي عزت وندرت في حياة الكثير من سكان القدس وفلسطين في أيامنا هذه .. ومما زاد من أواصر الألفة والحياة المشتركة أن أهل القدس من مسيحيين ومسلمين قد سكنوا في أحياء مشتركة وعملوا سويا في المؤسسات العامة والخاصة وذهبوا إلى مدارس ومؤسسات تعليمية تتميز بالانفتاح والتسامح . وفي الأعياد والمناسبات تري المسيحيين والمسلمين من أهل القدس يتبادلون التهاني والتبريكات وتراهم كذلك يواسون بعضهم البعض في مصائبهم العامة والخاصة .

وقد تعرض المسيحيون مثلهم مثل إخوانهم من المسلمين إلى ضغوطات نتجت وبشكل خاص عن احتلال إسرائيل للجزء الشرقي من القدس . وتمثلت احدى هذه الضغوطات بحقيقة أن عدد المسيحيين الذي كان قد وصل إلى ٢٨ ألفاً عام ١٩٤٥ انخفض إلى ١١ ألف نسمة في عام ١٩٩٤ . ويعزي هذا الانخفاض لنزيف هجرة متواصل ومرتبط بالأوضاع الإقتصادية والسياسية الصعبة التي يعيشها شعبنا الفلسطيني في القدس العربية وفي فلسطين . وإذا ما نظرنا إلى الأحد عشر ألفاً من المسيحيين في القدس فإننا نجدهم ينتمون إلى أكثر من عشر كنائس تمثل تعددية المسيحيين في شتي بقاع الأرض . ورغم هذه التعددية فإن الغالبية العظمي وبالتحديد ٩١ بالمائة من المسيحيين في القدس وفي فلسطين من أهل البلاد الأصليين أي من الفلسطينيين . وفي الوقت نفسه فإن التعددية المسيحية قد مكنت العديد من المسيحيين الفلسطينيين من أن يكونوا متحدثين بارزين في مجال الدفاع عن قضيتهم وعن أمتهم في المحافل الدينية وغيرها في العالم الواسع ويعد المسيحيون الفلسطينيون اليوم أكثر من ٤٠٠ ألف منهم ٥٠ ألفاً في الضفة الغربية وقطاع غزة و١٢٠ ألفاً في إسرائيل، أما الباقون فإنهم أسوة بإخوانهم الفلسطينيين منتشرون في شتي بقاع الأرض .

وفي القدس – وبالتحديد البلدة القديمة – يعيش ٦٠ بالمائة من الأحد عشر ألف مسيحي، وبينما تعيش الأغلبية في حارة النصارى وحارة الأرمن فإن العديد من العائلات المسيحية تتجاور مع العائلات المسلمة في حارات القدس الاخرى والتي يغلب عليها الطابع الإسلامي . وفي خارج البلدة القديمة يعيش بقية المسيحيين في أحياء شعفاط وبيت حنينا في الطريق شمالاً لرام الله وتتميز

علاقاتهم مع جيرانهم من المسلمين بالطيبة وحسن الجوار ويشتركون في الكثير من المؤسسات سواء التعليمية أو الترفيهية أو غيرها .

ويواجه أهل القدس، مسلمون ومسيحيون، مشكلة تمييز مستمرة فيما يتعلق بالسكن وتسهيلات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية . وفي وقت نتحدث فيه عن السلام، ومن منا لايريد السلام الذي يقوم على العدالة واحترام حقوق الآخرين وتوفير الفرص المتكافئة للمشاركين في صنع السلام، فإن أهل القدس العربية لا يجدون أماكن للسكن .وهذه مشكلة نواجهها جميعاً فالمسيحيون والمسلمون أسرة متساوية في هذا الأمر، وبينما يبني الفلسطينيون في القدس الشرقية ٢٣٢ منزلاً كل عام فإن المعدل السنوي لبناء المنازل لليهود في القدس الشرقية ذاتها يتجاوز ١,٨٠٠ منزل . ولا غرابة إذن إذا وصل الاكتظاظ السكاني في القدس العربية إلى ٨,٤ أفراد لكل منزل مقارنة بـ ٣,٦ أفراد لكل منزل يهودي فيها .

وتكمن دلالة هذا الاكتظاظ السكاني بأن العديد من شباب القدس – مسيحيين ومسلمين –يتركون مدينتهم المقدسة ويهاجرون سعياً للرزق والعيش الملائم . ومنذ فرض ما يسمى بالطوق الأمني في آذار ١٩٩٣ فإن حياة القدس الاقتصادية لكافة فئات السكان بغض النظر عن الدين أو حارة الإقامة قد تضررت وكذلك تعقدت الحياة الاجتماعية بحيث لم يعد العديد من العائلات والتي يسكن أعضاؤها في القدس وفي مدن وقري الضفة الغربية يلتقون سوى للمناسبات مثل الزيجات والجنازات وغيرها من الأمور الحياتية اليومية . ولربما كانت أصعب الصعوبات هى حقيقة عدم إمكانية الوصول للقدس للمسيحيين

وللمسلمين لأداء شعائر الصلوات وبخاصة في أيام الآحاد والجمع وفي أيام الأعياد والمناسبات الدينية .. وبعد، ما هو الموقف المسيحي من القدس أو هل هناك موقف مسيحي من القدس ومستقبلها ؟

أود هنا أن أشدد بأن موقف المسيحيين الفلسطينيين هو موقف غالبية شعبنا الفلسطيني بأن القدس هى عاصمة دولتنا الفلسطينية . أي أنه لايوجد هناك موقف مختلف أو متميز عن الموقف الفلسطيني العام . ويحترم المسيحي الفلسطيني الطابع العربي الإسلامي للقدس ويجلّه بناءً على تاريخ مشترك من الاحترام المتبادل والتسامح ما بين الديانتين السماويتين . ولم يكن هذا الطابع يوماً من الأيام حجر عثرة أمام الممارسة الكاملة والحرة للمسيحيين الفلسطينيين لشعائرهم وطقوسهم ولبناء كنائسهم وتشييد مؤسساتهم . ويأمل المسيحيون الفلسطينيون في أنه في ظل سلام حقيقي ستكون القدس لأهلها مصدر راحة وطمأنينة واستقرار عميق .

واسمحوا لي أن أنبه إلى موقف لاهوتي من القدس عند المسيحية بشكل عام وهذا الموقف يقول بأن الأهم من القدس هذه الأرضية هى القدس السماوية . أي أن القدس الأرضية مع كل ما تعنيه تبقي محدودة وأن هناك رسالة أعظم وأسمي يجب التفتيش عنها ليس فقط في القدس الأرضية وإنما في القدس السماوية والتي تجمع البشر وتتخطي الحدود لإيجاد عالم أفضل وأرقي يحترم الرسالة السماوية دون إعتبار لجغرافية المكان ومحدوديته. وعلي أن أعترف هنا بأن مسيحيي القدس وفلسطين ليسوا جد متحمسين لهذا التمييز بين القدسين، إذا أنهم يعتقدون بأنه في ظل سلام يضمن لشعبهم حقه في القدس العربية ويؤكد

على عروبة وإسلامية ومسيحية القدس، فإنه من الممكن أن نمزج ما بين القدسين وأن نعيش حياة أرقي وأفضل. وإذا أردنا أن نصل للقدس السماوية فعلينا وعلي العالم الغربي والذي تدين غالبية شعوبه بالمسيحية أن نبدأ بالعمل لرفع الظلم والجور عن القدس الأرضية وعن أهلها مسلمين ومسيحيين وهذا هو الأمل للسلام وللقدس ولأهلها .. وقبل أن انتهى أود أن أنوه بأن هناك من يعتقد بأن بعض الفئات المسيحية تنادي أو تؤيد فكرة تدويل القدس وهذا عن تأييد الفاتيكان في أول الأمر لفكرة corpus separatum التدويل لمدينة القدس وللمدن والقري المحيطة بها وتشمل قري أبو ديس وعين كارم، شعفاط ومدينة بيت لحم كما جاء في القرار ١٨١ للجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة والمؤرخ في ٢٩ تشرين ثان ١٩٤٧ . ولكن موقف الفاتيكان قد تبدل وأصبح يركز أن الحل السياسي لمدينة القدس يجب أن يتم التوصل اليه بين الطرفين المتنازعين وأن الفاتيكان على استعداد لاحترام هذا الحل على أن تكون الحقوق الدينية للمسيحيين مكفولة مثلها مثل حقوق أتباع الديانات الأخري، أما الحقوق والواجبات السياسية والاجتماعية للمسيحيين الفلسطينيين فهى تتحقق ضمن الأطر الوطنية الفلسطينية ولا علاقة للفاتيكان بها . أي أن التوجه الرئيسي للفاتيكان يقوم علىتشجيع المسيحيين الفلسطينيين في أن يكونوا أعضاءً فاعلين في مجتمعهم وأن يساهموا مساهمة فعالة وجادة على بناء قواعد ومؤسسات مجتمعهم، في ظل احترام متبادل وتسامح منفتح على الآخرين، ومنابع دينهم وتراثهم الحضاري الغني والعريق.

إن الطريق نحو السلام الحقيقي يمر فقط من طريق القدس واسمحوا لي من هذا الموقع أن أوجه دعوة حارة صادقة لكل من يهمه أمر القدس بأن اعملوا حتى ترفعوا الضيم عن أهل القدس العرب مسلمين ومسيحيين واعملوا حتى يكون السلام ليس على حساب القدس وكل ما تمثله لنا عرباً مسلمين ومسيحيين، وإنما من أجل القدس ومن أجل أبنائها ومن أجل مستقبلها وإذا ما عملتم هذا فمن الممكن أن تتحول القدس الأرضية هذه إلى صورة مميزة وعاكسة للقدس السماوية التي نسعى جميعنا لها في نهاية الأمر كل بحسب دينه ومعتقداته وقناعاته وبدون هذا السعي الدءوب فستبقي القدس الأرضية التي نعيش فيها تذكرة لظلم الإنسان لأخيه الإنسان ولانتفاء العدالة والحق والسلام بين الأمم والسلام عليكم من القدس وأهلها وأزقتها .

محمد سيد أحمد

الكاتب والمحلل السياسى



عاصمة أبدية !

استرشد عرفات بـ " سابقة " هي مدينة روما كي تكون أساساً لحل مشكلة القدس .. فإن روما، كما هو معلوم، عاصمة لدولة إيطاليا والفاتيكان " عاصمة " الكنيسة الكاثوليكية، ومقر البابا .

اقترح عرفات أن تكون القدس عاصمة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية مستقبلاً .. فإنها تنطوي . مثل الفاتيكان، على أبعاد روحية، وهي على حد وصف الفاتيكان لها،"جسر بين الأرض والسماء ورمز للسلام والتعايش بين الديانات الثلاث" .. إنها مدينة مقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود معاً، تماماً كما أن الفاتيكان عاصمة روحية للمسيحيين الكاثوليك .. والجدير بلفت نظرنا أن زيارة عرفات الأولي لغزة وأريحا قد غيرت الكثير من معطيات الموقف، وأوضحت أن قضايا حساسة وساخنة، كقضية القدس، لايمكن تعليقها إلى غير أجل محدد بعد بدء عملية التعاقد والشروع في وضع ما جرى الإتفاق عليه موضع التنفيذ .. لقد استغرقت المفاوضات التي دشنها مؤتمر مدريد سنوات دون أن تفضي إلى نتائج ملموسة . واقتضي اتفاق غزة – أريحا الذي كان نتاج

مفاوضات سرية مضنية في أوسلو، أشهراً طويلة حتى تسفر عن " إعلان للمبادئ " تقرر وضعه موضع التطبيق عبر "مرحلة إنتقالية " تستغرق في أفضل الفروض خمسة أعوام .. ظل كل شيء يسير ببطء شديد .

ولكن بمجرد أن زار عرفات غزة وأريحا، وأن وطأ بقدمه أرض فلسطين، وأن تحول الإتفاق المبرم من فكرة مجردة إلى واقع ملموس، انقلبت الأمور رأساً على عقب .. وكانت قضية القدس أبرز دليل على ذلك .. فلقد نص " إعلان المبادئ " على عدم التصدي لموضوع القدس قبل حلول السنة الثالثة من " المرحلة الإنتقالية " ولكن فجأة أصبحت قضيتها في بؤرة الأحداث .. لمجرد إبداء عرفات رغبة، وهو يخطب في غزة في أن يصلي في القدس، شأنه في ذلك شأن أي مسلم .. فهاج غلاة إلى مين الإسرائيلي، وثاروا ثورة عارمة . وطالبوا حكومتهم بوضع حد نهائي للتعامل معه !

وهكذا يتضح أن بروز سلطتين في فلسطين السلطة الفلسطينية بجوار السلطة الإسرائيلية . إنما أوجد جديلاً في طبيعة العلاقة بين الطرفين، بصرف النظر عن صلاحيات السلطتين، وضآلة السلطة الفلسطينية إذا ما قورنت بالسلطة الإسرائيلية .. إن مجرد وجود سلطتين إنما أوجد حالة جديدة مختلفة نوعياً، حالة لم يعد من السهل ولا من المفيد فيها إبقاء عناصر التسوية مجزأة، زماناً ومكاناً ..زماناً بإرجاء التصدي لأكثر المشاكل حساسية للمستقبل .. ومكاناً، بقصر نقل السلطة إلى الفلسطينيين على مواقع دون اخرى .. وليس المقصود بما أسوقه دعوة إلى إبطال مفعول ما أبرم من اتفاقات، وإنما لفت النظر إلى أن التجربة قد أثبتت قصور الحلول المجزأة عن احتواء مختلف أبعاد عملية

التسوية، ومختلف أبعاد ردود الأفعال لها، وإن العملية قد تسفر عن مردودات عكسية بسبب هذا القصور ..وتأكيداً للمعني ذاته، حذر الفاتيكان من خطورة إرجاء النظر في قضية القدس إلى ما بعد إنتهاء ترتيبات الحكم الذاتي، ذلك أن المدينة القديمة في القدس إنما تتعرض تدريجياً، تحت الحكم العسكري الإسرائيلي، لخطر ضياع خصوصيتها، وصورتها التاريخية من خلال تغيير ملامحها .

وربما أدرك المتفاوضون أنفسهم أن الإلتزام الحرفي بـ " إعلان المبادئ " كما صيغ قبل بدء عملية التنفيذ، قد يفضي إلى نتائج غير مرغوب فيها .. والجدير بالملاحظة أن رابين وبيريز لم يرفضا إبتداء تأكيد عرفات – وقت لقائه بهما في باريس عقب زيارته لغزة وأريحا لتلقي الثلاثة معا جائزة من إلى ونسكو – بضرورة التعجيل بخطوات " عملية السلام " حتى لا يتاح للقوي المناهضة لها من الجانبين، إستعادة المبادأة حتى فيما يتعلق بالقضايا المرجأة الحساسة، كمستقبل اللاجئين ومسألة تقرير الحدود، والوضع النهائي للقدس .. وقد سلم رابين، في حديث إلى الإذاعة الإسرائيلية بإضافة موضوع " الانتخابات الفلسطينية " إلى جدول أعمال المفاوضات وفي هذا تسليم ضمني من جانبه بعدم جواز الاحتجاج بـ " إعلان المبادئ " لرفض إدخال تعديلات على ما سبق وجري اتفاق بشأنه .. والحقيقة أن قصر صفة القدس على أنها " عاصمة إسرائيل الأبدية " وحسب تشخيص خطر وضار ولا ينسجم مع روح عصر لم يعد فيه مكان لكيانات منغلقة في تحد سافر لمشاعر قطاعات واسعة من الجنس البشري ..إن مسلمي العالم ومسيحييه لن يقبلوا أبداً أن تكون القدس قصراً على إسرائيل واليهود فقط، وأن تملك إسرائيل وحدها حق بسط سيادتها المنفردة

عليها .. خاصة في عالم لم تعد لـ " سيادة " الدول فيها صلاحيتها " المطلقة " السابقة . إن هناك آفات عديدة تميز عالمنا المعاصر، آفات البيئة، والتلوث، والإشعاع النووي، والأوبئة، وتجارة المخدرات وحركات الهجرة، والإنتهاكات التي تتعرض لها حقوق الإنسان .. الخ، وهىآفات لم يعد محتملاً التذرع بـ "سيادة الدول" لمنع تصدي المجتمع الدولي لها ومعالجتها، ذلك أنها آفات لا يمكن وقفها عند الحدود الجغرافية لأية دولة فيعالم يزداد تداخلاً وتكاملاً !

إن " السيادة " تتجه كي تصبح " نسبية بل وكي تصبح متعددة الطبقات " كما يثبت من تجربة " الاتحاد الأوروبي " ، لقد أسفرت عملية بناء الاتحاد عن صلاحيات ذات سمات سيادية لأوروبا المندمجة بحكم إنتمائها إلى سوق واحدة، وبحكم تيسيرات كثيرة كرستها معاهدة ماسترخيت .. ثم إن هناك الصلاحيات الممنوحة للأقاليم، وهى بسبيلها أن تتسع وأن تتنوع بصفة مطردة .. إن إتسام مفهوم " السيادة " بصفة " النسبية " إنما أفسح المجال لأعمال أكثر من سيادة " في وقت واحد .. وهذا مجال خصب لاجتهاد فقهاء القانون الدولي المعاصر .. وكما اكتشفت لفكرة " السيادة " خواص لمعالجة متطلبات الاندماج الأوروبي العويصة . فلماذا استبعاد أن تبتدع لها خواص كفيلة بمعالجة مشكلة القدس ؟

فهمى هويدى

الكاتب والمفكر العربى

قبل الغرق

ليس ما أقوله مرثية للقدس، التي أيد الكونجرس الأمريكي رسمياً – ولأول مرة – اغتصاب إسرائيل لها، في جولة المزادات الانتخابية سواء الأمريكية أو الإسرائيلية، لكنها مجموعة من الإفادات والشهادات أضعها بين يدي الجميع، لكي يكونوا على بينة مما جرى ويجري من ناحية .. ومن باب إبراء الذمة من ناحية ثانية ..

بيعت القدس في جولة لمزادات الانتخابات الأمريكية حين قرر الكونجرس الاعتراف بها عاصمة لدولة إسرائيل، وألزم الحكومة بنقل سفارتها إليها من تل أبيب مع حلول نهاية شهر مايو في عام ١٩٩٩ ولكي يوضع القرار موضع التنفيذ على الفور، فقد اعتمد الكونجرس مبلغ ٢٥ مليون دولار للشروع في إقامة مقر السفارة في العام القادم، تضاف إليها ٧٥ مليونا اخرى في العام الذي يليه وهو ما يعني عملياً أن تبدأ إقامة المبني مع فتح ملف مباحثات الوضع النهائي، وتنتهي العملية مع نهاية تلك المباحثات، التي ظن المتفائلون أن مستقبل مدينة القدس سيكون أحد بنودها !

حتي لو لم يكن الخبر مفاجئاً، فإنه يصفعك بقوة حين تقرؤه بعينيك، حتى يكاد يصيبك بالدوار ويشعرك بالانكسار والمهانة، على الأقل فذلك ما حدث معي، أخفيت الحزن وابتلعت الغضب، ومضيت أتابع التفاصيل والأصداء، وأقلب ملف المدينة المقدسة الذي احتفظ فيه بقصاصات القضيه عنت لي بعض الملاحظات واستوقفتني بعض العبر والشهادات التي وجدتها جديرة بالإثبات في المناسبة .. قاومت تحذيرات صاحبي الذي ادعي بأن مثل شهادتي- هذه- نفخ في " قربة " مقطوعة أو سباحة ضد التيار . قلت : ليكن حتى أذانا في مالطة، لأن المهم هو أن يرفع الأذان في الآذان.

كانت ملاحظتي الأولي : أن موسم الانتخابات الأمريكية، رئاسية كانت أم نيابية صار موسم التنافس على مجاملة إسرائيل على حساب العرب، لأنهم يريدون أصوات اليهود أو يتطلعون إلى الفوز بتبرعات أثريائهم، لتمويل حملاتهم الإنتخابية، فإنهم لا يجدون سوى جثة فلسطين يقتطعون منها ما يشاءون وينهشون لحمها وعرضهالكي يقدموه لهم قرباناً مجانياً، يقبضون هم عائده .. كأنما كتب على فلسطين أن تتحمل وحدها ثمن اضطهاد الأوروبيين لليهود في الماضي، وأن تدفع ثمن إسترضاء المرشحين الأمريكيين لليهود في الحاضر !

لقد وعي الإسرائيليون ذلك منذ وقت مبكر، فحرب ٤٨ والجرائم التي استصحبتها تمت في سنة انتخابية .. عدوان ٥٦ الثلاثي تم في سنة انتخابية .. وحرب ٦٧ تمت في سنة انتخابية .. ومذبحة الكرامة تمت في سنة انتخابية، وها هو قرار نقل السفارة الأمريكية إلى القدس يصدر بدوره في سنة انتخابية .

- **الملاحظة الثانية** : أن أعضاء الكونجرس تصرفوا في المسألة وكأنهم يتعاملون مع فضاء واسع في العالم العربي ليس فيه سوى إسرائيل .. من ثم فإنهم أعطوا لأنفسهم الحق في أن يهبوا لها المدينة المقدسة بعد ما أفتوا في ديباجة قرارهم بأنها " المركز الروحي للديانة اليهودية "، ولم يخطر على بالهم أن لشعب فلسطين فيها حقوقاً، أو أن للمسلمين والمسيحيين بدورهم فيها حقوق تتجاوز ما لليهود، وتماثلها في الحد الأدني .. هم في ذلك لم يخطئوا في قراءة الجغرافيا فحسب، وإنما أخطأوا في قراءة التاريخ أيضا .. لقد عموا في الأولي، وجهلوا أو صموا في الثانية . ذلك أن تلك المدينة التي أرادوا نقل السفارة الأمريكية إليها بحسبانها عاصمة أبدية، لم تكن عاصمة لمملكة بني إسرائيل إلا لمدة ٧٣عاماً فقط في القرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد .. بعدها أمر الرب "بتمزيق المملكة " كما ذكرت التوراة .. آنذاك تمزقت القبائل العبرانية (الإسرائيلية) أرض فلسطين التي سكنها الكنعانيون منذ العصر الحجري احتلوا أجزاء محدودة في فلسطين بكثير دون الأراضي التي تحتلها إسرائيل الآن . الأمر الذي يعني أن أولئك العبرانيين كانوا أجانب في فلسطين ولم يولدوا بها، ثم أنهم قضوا فيها فترة من زمن هى بمثابة لحظة عابرة في مسيرة أربعة آلاف سنة من عمر القدس وفلسطين .. وبعد مجيئهم وبعد رحيلهم كان العرب الكنعانيون هناك هم الذين أقاموا القدس وعمروها وحصنوها، وهم أنفسهم الذين أصبحوا الآن مشردين ولاجئين .. تلك اللحظة الخاطفة في تاريخ القدس العريق والعريض، هى التي سوغت تعمم أكذوبة العاصمة الأبدية لإسرائيل، تلك التي صدقها كثيرون، بما فيهم أعضاء الكونجرس ففعلوا فعلتهم بغير علم ولا هدي، وإذا عممنا هذا المنطق، وحتى لكل جماعة استوطنت بلداً من ألف أو ألفين أو ثلاثة آلاف

سنة، ثم عادت لتطالب به، فإن العالم سيتحول إلى جحيم من الصراعات لاحصر لها.

وكما قال هـ . ج . ويلز :إذا كان سليماً إعادة بناء الدولة اليهودية التي لم توجد من ألفي سنة على الأقل، ألا يكون من الأسلم العودة ألف سنة أخري، وإعادة بناء الدولة الكنعانية (العربية) ؟ .. فالكنعانيون على عكس إلى هود، هم الذين استمروا في فلسطين ولايزالون، إن التسليم بالإدعاء الصهيوني يعطي الحق لأحفاد البابليين والمصريين والفرس واليونانيين والرومانيين في الإستئثار بالأراضي المقدسة، حيث قضي كل من هؤلاء في فلسطين أكثر مما قضي أسلاف الإسرائيليين .. من هذه الزاوية فإن أهل العراق الذين هم أحفاد البابليين والأشورين والعرب يصبحون أكثر استحقاقاً من اليهود في إدعاء ملكية فلسطين، لأن أجدادهم حكموا فلسطين قبل وبعد الإحتلال اليهودي لها، بل واختلطت دماؤهم مع دماء قبائل إسرائيل العشرة التائهة، التي حكمت القسم الأكبر من فلسطين أيام العبرانيين؟ .. ناهيك عن أن سكان العراق الحاليين يرتبطون مع سكان فلسطين من العرب بروابط الدم واللغة والثقافة والدين .

ذات المنطق الذي يسوغ لإسرائيل حق اغتصاب فلسطين وادعاء ملكية القدس، لابد وأن يعطي المكسيك الحق في استرداد مساحات كبيرة من الولايات المتحده .. كما يعطي الأسبان حقاً في المطالبة بالمكسيك . ويبرر مطالبة العرب بأسبانيا ويفرض على الولايات المتحده أن تسلم مقاليد البلاد إلى الهنود !

– **الملاحظة الثالثة** : أن زعيم الجمهوريين في مجلس الشيوخ " بوب دول" الذي قاد حملة نقل السفارة الأمريكية إلى القدس كان من معارضي هذه

الفكرة فقد ألقي خطاباً أمام المجلس في عام ١٩٩٠ عبر فيه عن معارضته تلك وقال فيه ما نصه " إن من المجازفة بمكان أن يقحم مجلس الشيوخ الأمريكي نفسه في وضع ينطوي على حساسية شديدة في الشرق الأوسط " ! غير أن ذلك الموقف انقلب ١٨٠ درجة بحلول عام ٩٥ الذي تحول فيه دول إلى زعيم لحملة المطالبة بنقل السفارة رغم أن الموقف الذي برر به معارضته المعلنة في سنة ١٩٩٠ لا يزال كما هو لم يتغير فالحساسية مازالت على أشدها، ولاتزال قضية القدس أحد الألغام التي يمكن أن تفجر عملية السلام ذاتها والذي تغير هو موقف دول نفسه الذي عزم هذه المرة على ترشيح نفسه للرئاسة . الأمر الذي يكشف بطريقة فاضحة المدي الذي يمكن أن يغير به الساسة الأمريكيون مبادئهم ويسترخصون الانتقال من موقف إلى نقيضه، حتى فيما يتعلق بمصائر الشعوب وحقوقها من أجل التزلُّف إلى إسرائيل أملاً في كسب أصوات اليهود الأمريكيين والفوز بحصة من أموال أثريائهم في تمويل الحملات الانتخابية .

- **الملاحظة الرابعة** : أن التصويت على القرار كان كاسحاً بدرجة مستفزة، فالذين أيدوا القرار كانوا ٩٣ عضواً، والذين عارضوا كانوا خمسة فقط لا غير، بينما تغيب اثنان عن جلسة التصويت وهو ما يعني أن الفلسطينيين والعرب، بقضهم وقضيضهم، وبنفطهم وذرائعهم بشعوبهم وتحالفاتهم وصداقاتهم للولايات المتحدة، ذلك كله لم يحظ إلا بنسبة خمسة في المائة من عناية أعضاء الكونجرس، بينما ٩٥% من الأعضاء تعاملوا مع العرب باحتقار شديد وصنفوهم أصفاراً لا تستحق نظرٌ ولا اعتباراً ! ثمه استهتار أو ازدراء !!

وهـذا الـذي حـدث في الكونجرس لـيس أمـراً شـاذاً في المؤسسـات الأمريكيـة، ولكنـه يجسـد تصـاعد مؤشـرات الانحيـاز لإسـرائيل في عمـوم الموقـف الأمريكـي، الـذي بلـغ في عهـد الـرئيس كلينتـون ذروة غـير مسـبوقة .. ألم تـر آيـة ذلـك في التقريـر الـذي نشـرته " صـحيفة معـاريف " لمراسـلها في واشـنطن، فينـوام باريوسـف في الثـاني مـن سـبتمبر ١٩٩٤ تحـت عنـوان : اليهـود يـديرون بـلاط كلينتون، ولئن حدث ذلك على مستوى البيت الأبيض فهل نستكثر حدوثه في الكونجرس ؟!

– **الملاحظة الخامسة** : أن ذلـك القـرار الفـج لا ينتهـك فحسـب أهـم مـا في ميثـاق الأمـم المتحـدة حـين يؤيـد الاسـتيلاء علـى أراضـي الغـير بـالقوة لكنـه يطـيح أيضـا وبجـرأة متناهيـة بمختلـف القـرارات الـتي أصـدرها مجلـس الأمـن عـن موضـوع القدس بالذات، منها على سبيل المثال القرار الذي أصدره المجلس في ٢١ مـايو ٦٨ عنـدما تقـدمت الـدول العربيـة بشـكوي إحتجاجـاً علـى قـرارات إسـرائيل بمصادرة بعض الأراضي وتغيير الأوضاع في القـدس، آنـذاك دعـا مجلـس الأمـن في قراره رقم ٢٥٢ إسرائيل إلى إلغاء كل إجراءاتهـا وقـرر إدانـة اسـرائيل لفشـلها في الامتثال لقراري الجمعية العامة الصادري في ٤و١٤ يوليو١٩٦٧، واعتبر أن كل الإجراءات الإدارية والتشريعية وكل الأعمال التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القـانوني للقدس هى إجراءات باطلة، ولا يمكن أن تغير في وضع القدس " كما دعاهـا " بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات، وأن تمتنع فوراً عن القيام بأي عمل آخر مـن شـأنه أن يغـير في وضـع القـدس .. هـذا القـرار صـدر في عـام ٦٨ بأكثريـة

١٣من أعضاء مجلس الأمن الخمسة عشر، ولم تجرؤ الولايات المتحدة آنذاك على أن تستخدم الفيتو ضده (لاحظ أن واشنطن استخدمت الفيتو في سنة ٩٠ لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن يدين مصادرة إسرائيل لبعض الأراضي في القدس) .. ثمة قرار آخر له أهمية خاصة أصدره مجلس الأمن في ٢٠ أغسطس سنة ١٩٨٠، إثر شكوي تقدمت بها الدول العربية بعد أن أصدرت إسرائيل قانوناً في بدايات الشهر ذاته نص علىاعتبار القدس عاصمة لإسرائيل ومقراً للسلطة فيها القرار صدر تحت رقم ٤٧٨ وقد أصدره مجلس الأمن بالإجماع، بينما امتنعت الولايات المتحدة عن التصويت، وجاء فيه ما يلي :

١- إن المجلس يستنكر بأشد العبارات إقرار إسرائيل القانون الأساسي بشأن القدس ورفضها الإلتزام بقرارات مجلس الأمن ذات الصلة .

٢- يؤكد مجلس الأمن أن إقرار إسرائيل القانون الأسلسي يشكل انتهاكاً للقانون الدولي، ولا يؤثر في التنفيذ المستمر لاتفاقية جنيف الرابعة المؤرخة في ٤٩/٨/١٢ .

٣- ويؤكد مجلس الأمن على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية والأعمال التي قامت بها إسرائيل - السلطة المحتلة والتي غيرت أو تهدف إلى تغيير طابع المدينة المقدسة ووضعها القانوني، وخاصة القانون الأساسي الأخير بشأن القدس، باطلة ولاغية، ويجب أن تلغي .

٤ -ويؤكد أيضا أن هذا العمل يشكل عائقاً خطيراً لتحقيق سلام شامل وعادل ودائم في منطقة الشرق الأوسط .

٥ – ويقـرر مجلـس الأمـن ألا يعـترف بالقـانون الأساسـي، وبأعمـال إسـرائيل الاخرى الناجمة عن هذا القانون، التي تهدف إلى تغيير طابع المدينة ووضعها القانوني، ويدعو جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة إلى مايلي :

– أن تلتزم بقرار مجلس الأمن هذا (٤٧٨) .

– على الـدول الـتي أقامـت بعثـات دبلوماسـية في القـدس أن تسـحب تلـك البعثات.

– يقرر (مجلس الأمن) أن يظل مهتما بذلك الوضع الخطير .

اللافـت للنظـر أن الطـرف الفلسـطيني لم يسـتخدم القـرار ٤٧٨ في مفاوضـاته مـع إسـرائيل، كمـا تتمسـك سـوريا مـثلا بـالقرار ٢٤٢ فيمـا يتعلـق بالجولان ..الأخطر من ذلك والأسوأ أن المفاوض الفلسطيني قبل بالتنازل عملياً عن مرجعية قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، حتى أصبحت اتفاقيات أوسلو واحد واثنين وحدها هى الحاكم لعلاقاته مع إسرائيل .

في الوقـت ذاتـه فـإن مثـل هـذه القـرارات تفسـر لنـا إصـرار إسـرائيل علـى استبعاد الأمم المتحدة بصورة لا تخلو من نفور وإزدراء – من كافة مراحل عملية السـلام، إبتـداء مـن مـؤتمر مدريـد وحـتى إتفـاق طابـا أو أوسـلو اثـنين الـذي وقـع بالبيت الأبيض في شهر سبتمبر الماضي .

– **الملاحظـة السادسـة** : أن القـرار إذ يكـرس إلحـاق القـدس بشـطريها بدولـة إسـرائيل، فإنـه يـدعم عمليـة تهويـدها الجاريـة الآن علـى قـدم وسـاقفضـلاً عـن مخططات توسيعها التي تكاد تبتلع ثلث الضفة الغربية . وهذا التهويد سعت اليه إسرائيل من البداية حين أوقفت نمو الأحياء العربية في القدس الشرقية خاصة عبر

التضييق على العرب في الحصول على تصاريح البناء كما عمدت إلى حصار تلك الأحياء بالمنشآت السكنية اليهودي ة، بل عملت على اختراق تلك الأحياء وتسكين اليهود في قلب التجمعات العربية كما أنها لم تتردد في الاستيلاء على كل ما أمكنها الإستلاء عليه من المساكن المقامة بحجة غياب أصحابها في الأغلب .. وفي الوقت ذاته فإنها وجهت المستوطنين المستجلبين من شتي أنحاء العالم للإقامة في المدينة المقدسة، حتى أصبح ٧٠ % من أولئك المستوطنين يعيشون في مدينة القدس وحدها، ومن ثم صار العرب هناك مجرد جزر منعزلة ومقهورة وهى تعيش وسط بحر إسرائيل بل إن القدس الشرقية التي تمتعت تاريخياً بأغلبية عربية ساحقة، اختل توازن سكانها لصالح إلى هود، الذين أصبح عددهم ١٦٨ ألفا مقابل ١٥٤ ألف عربي (طبقا لإحصاء عام ٩٣) .

الاحتشاد اليهودي في القدس أدي بقوة الطرد إلى إبعاد العرب عنها مسلمين ومسيحيين وفي دراسة نشرتها الكاتبة الأمريكية " جريس هالسيل " والتي زارت الأراضي الفلسطينية المحتله للتعرف على أوضاع شعبها والمسيحيين منهم بوجه أخص، ذكرت ما نصه : لم يبق في أرض المسيحية سوى أربعين ألفا من المسيحيين .. وقبل نصف قرن كان عدد هؤلاء نحو ١٣٥ ألفاً كانوا نصف سكان القدس، و ٩٠% من سكان بيت لحم . وقد تناقصوا في القدس حتى أن طائرتي جامبو يمكنهما الآن نقلهم جميعاً (أي أنهم أصبحوا حوالي ألف شخص) وصاروا في بيت لحم مجرد ١٠% من مجموع سكانها – (مجلة " لينك " الأمريكية عدد أول إبريل ٩٥) ..حملة التهويد هذه سكانياً وعمرانياً لا تنتهك ميثاق الأمم المتحدة وقرارات مجلس الأمن فقط، ولا تنتهك ميثاق حقوق

الإنسان بدورها فقط من حيث أنها تحرم أصحاب الأرض من حق الحياة فيها، ولكنها تعد نوعاً من التطهير العرقي التدريجي الذي يستبعد المسلمين والمسيحيين بأساليب غاية في الخبث والدهاء لكي يستبقي المدينة لصالح اليهود في نهاية المطاف .

ومن شأن ذلك أن يحول المدينة من واقع متعدد الثقافات استقر عبر قرون تحت الحكم الإسلامي إلى واقع يهودي في الأساس تسيطر فيه إسرائيل على السيادة بدون منازع. الأمر الذي يفقد المدينة المقدسة أحد أهم أرصدتها التاريخية والحضارية .

– **الملاحظة السابعة والأخيرة** : أن هذا الذي حدث لم يلق صداه المتوقع في الخطاب السياسي العربي والإسلامي ولم يحدث سوى استنكار بعض الدول للقرار .. لقد انعقدت القمة الإسلامية لأول مرة في عام ٦٩ بسبب محاولة حرق المسجد الاقصى في المدينة المقدسة التي أقدم عليها أحد المستوطنين اليهود .. ولكن ابتلاع المدينة المقدسة كلها لم يحرك شيئاً في الساحة الإسلامية بعد ربع قرن من وقوع الحادث الأول، وغاية ما صرنا نملكه هو أن نتحدث عن " احتمال " انعقاد مجلس الجامعة العربية كأحد الخيارات المحتملة لبحث الأمر !!

إن الشعارات بالنسبة للعرب .. مسلمين ومسيحيين هو أن القدس هى عاصمة فلسطين .. أما الشعار بالنسبة إلى كل المسلمين، هو أن القدس هى مدينة الاقصى المبارك ومسري الرسول الأمين .. وأما الشعار بالنسبة إلى كل المسيحيين هو أن القدس هى مدينة قيامة السيد المسيح فكلها شعارات استراتيجية .. لكن ما من شعار منها قد تحول إلى عنوان عمل يومي .. كما

تحول شعار الصهيونية بأن القدس هى العاصمة الموحدة والأبدية لإسرائيل .. لكن القدس بالنسبة لإسرائيل موضوع لا يقبل المساومة واعتبارها بقرار حكومي عاصمة موحدة وأبدية حتى العام ١٩٨٠ ما كان مجرد إجراء رسمي أو مجرد شعار لكنه كان عملاً سياسياً وشعبياً وعمرانياً متواصلاً .

وإن قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية للقدس هو أول تحرك عملي أمريكي باتجاه القول بأن الحل المرحلي الذي تم إنجازه مع السلطة الفلسطينية هو الحل النهائي .. ويبقي أن ينتبه الفلسطينيون والعرب إلى ذلك، فيتحركون بسرعة ويرتبون أوراقهم لخوض المعركة بموقف تفاوضي موحد وإلا خسروا المعركة تماماً .

لقد تغيرت الدنيا حقاً بأبعد وأعمق مما نتصور .

د.صالح حسن المسلوت

جامعة الأزهر – القاهرة



القدس هى " يبوس " كما ورد في سجلات الفراعنة وهى " أوروسالم " كما كان اسمها عند الكنعانيين، وهى " أورشليم " كما سماها العبرانيون، وهى " بروساليم " عند اليونايين وهى " هيروسلما " أو " سوليموس" أو " إيليا " عند الرومان، وهى " القرية " أو " بيت المقدس " أو " البيت المقدس " أو"القدس " كما سماها العرب المسلمون .. ومدينة القدس مدينة قديمة يرجع تاريخها إلى أكثر من ثلاثين قرناً قبل الميلاد.

وتذكر المصادر التاريخية أنها كانت في ابتداء الزمان صحراء خالية بين أودية وجبال، وكان أول من اختطها سام بن نوح عليه السلام، حيث يذكره البعض باسم " ملكي صادق " ومعناها بالعبرية ملك الصدق، ويبدو لنا أن " ملكي صادق " متأخر في الزمن عن الجيل الأول الذي عاش في هذه البقعة المباركة، في أول الأمر، وكان ذلك قبل أن يفكر "ملكي صادق "في تخطيط

مدينته على أي شكل من الأشكال، ويظهر أن أول من أقام بها هم بطن من بطون العرب الأوائل التي عاشت في فجر التاريخ في الجزيرة العربية .

ويذكر المؤرخون أنهم كانوا يسمون " اليبوسيين " تسمية أطلقها عليهم الفراعنة كما يظهر في آثارهم، ولقد رحل هؤلاء اليبوسيون إلى أرض مدينة القدس حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، واستوطنوا بها وارتبطوا بترابها حتى أنهم كانوا بعد ذلك أصحابها الشرعيين صدوا عنها غارات المصريين كما صدوا عنها قبائل العبرانيين التائهة في صحراء سيناء ولقد نجحوا في بناء مدينتهم وعمارتها .. ونجحوا في صد الغزاة عنهاأزماناً طوالاً إذ كانوا متحدين، فلما تفرقت كلمتهم اشتد طمع العبرانيين فيهم مما اضطرهم إلى التحالف مع المصريين وطلبوا عون " تحتمس الأول " عام ١٥٥٠ ق . م فلبي رغبتهم وساعدهم في صد غارات القبائل العبرانية وأدت بهم هذه الإستعانة إلى نوع من الخضوع لسلسلة من فراعنة مصر : تحتمس الثالث ١٤٧٩ ق.م، امنحتب الثالث ١٤١٣ ق.م، إخناتون ١٣٧٥ ق.م ذ، توت عنخ آمون ١٣٥١ ق.م، سيتي الأول ١٣١٤ ق.م " رمسيس الثاني ١٢٩٢ ق.م .. وجدير بالذكر أن هذه الاستعانة أو هذا الخضوع لم يفقدهم كيانهم كشعب واحد متماسك يمارس حياة قومية خاصة، ويحتفظ بحقه في حكم نفسه، إذ كان المصريون يكتفون بتحصيل الجزية من أهلها .. ولما كان العبرانيون يبحثون لهم عن مستقر يقيهم تيه الصحراء فإنهم استمروا في محاولتهم دخول " يبوس "وأخيراً وبعد جهد شديد تمكنوا من ذلك في عهد داود عليه السلام حوالي ١٠٤٩ ق.م .

وتؤكد لنا التوراة أيضاً غربة اليهود عن القدس ففي سفر القضاه ١٩، ١١ ، ١٣ نجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف يبوس .. وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جدا قال الغلام لسيده : تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال سيده : لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا .. إذن فلقد دخل اليهود يبوس في عصر جد متأخر على يد داود عليه السلام واضطر أهل البلاد الأصليين إلى التعايش مع الغزاة مرغمين .. ويؤكد التاريخ أنه حتى في الفترة التي كان لاسرائيل فيها كيان ونفوذ في يبوس وفي عصرهم الذهبي من داود إلى سليمان عليهما السلام كان ملك إسرائيل آنذاك بمثابة والٍ على فلسطين تحت السيطرة المصرية .. ومما سبق يتضح لنا أن داود وسليمان عليهما السلام لم يكونا مؤسسي مدينة القدس وإنما أتيا إليها بعد ألفي سنة من وجودها وكانت عمارتهما لها بعد ذلك كما يقول المؤرخون بمثابة " تجديد البناء القديم " .. فإلي متي استمر الكيان السياسي لليهود في يبوس ؟

بعد موت سليمان عليه السلام حوالي ٩٧٥ ق . م انقسمت المملكة اليهودية إلى شطرين : إسرائيل في الشمال وعاصمتها " نابلس " ودامت نحو ٢٥٠ عاماً وانتهت عام ٧١ ق . م وقضي عليها ملك آشور ولم تقم لها قائمة بعد ذلك وأورشليم مملكة يهوذا في الجنوب، وقد عاشت أكثر من أختها وفي عام ٥٩٩ ق . م دمرها نبوخذ نصر وسبي جميع أهلها وأرسلهم إلى بابل وهو ما يعرف في التاريخ بالشتات البابلي الأول وراح اليهود يعيشون بعد مملكتهم هذه كطائفة دينية يرأسها كاهن حتى ظهر المكابيون وقاموا بثورتهم واستولوا على

أورشليم عام ١٦٧ق .م وظهر منهم الرؤساء والملوك وبعد فترة وجيزة كانوا خاضعين للحكم إلى ونانى مرة والحكم الرومانى مرة اخرى رازحين تحت عبء التنازع السياسي والفساد الداخلي وذاقوا الدمار ثلاث مرات متوالية على أيدي الأباطرة : بومبي وتيطس وأدريانوس، وكان أن قضي على دولتهم الهزيلة ولم تقم لهم دولة أو كيان بعد ذلك وهو ما يعرف في التاريخ أيضاً بالشتات الروماني الثاني أو ما يطلق عليه " الدياسبورا" .

مما تقدم يتبين لنا عدة حقائق هى :

أولا : أن وجود اليهود بمدينة القدس لم يكن إلا بعد وجودها بعشرين قرناً وبعد أن تحضرت على يد أصحابها الفلسطينيين ذوي الأصل العربي، الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية .

ثانيا : إن وجودهم بها حدث واستمر كغزاة تقوم العلاقة بينهم وبين أصحاب الأرض الأصليين على هذا الأساس .

ثالثا :إن كيانهم السياسي لم يقم بهذه الأرض إلا في فترة متأخرة جداً ولبضع سنوات لا تكاد تتجاوز خمساً وسبعين عاماً من بين خمسين قرناً على هذه الأرض وهى مأهولة متحضرة .

وليس أدل على ضعف ارتباط اليهود بأرض فلسطين من أن زعماء الصهيونية في العصر الحديث عندما بدأوا يفكرون في بناء وطن قومي لهم ساغ لبعضهم أن يتجهوا بتفكيرهم إلى بلاد اخرى غير فلسطين، فهذا البارون هيرشي اليهودي الألماني الثري يرى أن الأرجنتين هى أصلح مكان يمكن أن تقام عليه دوله لليهود .

بل إن هرتزل نفسه كان على استعداد لقبوله في سوريا أو البرتغال أوسيناء أو قبرص أو العريش أو موزمبيق أو طرابلس أو أوغندا أو الكونغو لولا أن بادرت المصالح الاستعمارية إلى ربط عجلتها بالمطامع الصهيونية فتكاتفا على إحداث المأساة .

الفتح الإسلامي لبيت المقدس

ونعود إلى القدس مرة اخرى وكيف دخلها الإسلام بعدما عانت من الحكم الروماني تم فتح بيت المقدس في عهد الفاروق عمر ثاني الخلفاء الراشدين بأكرم وأرفع وأخلد مجموعة عرفها هذا الكون من البشر ومن الملائكة اجتمعت لأول مرة بقيادة الرسول الكريم ليلة الإسراء، ووضعت حجر الأساس في الوجود الإسلامي في المنطقة ولقد تابع سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) تنفيذ هذه الغزوة الملائكية بغزوة تبوك وسار من بعده على الدرب أصحابه فأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقائد جيشه على الشام بفتح بيت المقدس فأرسل أبو عبيدة بن الجراح – وقد عسكر بالأردن – " إلى بطارقة أهل ايليا وسكانها " سلاماً ودعوة إلى الإسلام .. {" فإن شهدتم بذلك، حرمت علينا دماؤكم وأموالكم وذرياتكم وكنتم لنا إخوانا، وإن أبيتم فأقروا لنا بأداء الجزية "} .

دعوة إلى الحق والسلام والأخوة لا يأباها منصف ولا يمتنع عنها مؤمن بالقيم الدينية والمثل الإنسانية، وبعد القتال أرسلوا اليه يطلبون الصلح على أن يعطيهم الخليفة بنفسه العهد والأمان، وقد انتقل إلى هم الخليفة عمر بن الخطاب حقناً للدم وتوفيراً للجهد وأعطاهم العهد الذي جاء فيه :

١–ألاّ يسكن بايليا معهم أحد من اليهود .

٢- وأن يخرجوا منها الروم .

ونقف هنا لنتساءل : لماذا نص في العهد على هذين الشرطين ؟! يذهب بعض الباحثين إلى أن النص على ألا يسكن القدس أحد من اليهود كان بناء على طلب البطريرك .. ونحن نري أن نظرة عمر كانت أبعد من مجرد الاستجابة لطلب البطريك خاصة إذا لاحظنا الارتباط بين استبعاد اليهود واستبعاد الروم، إننا على إقتناع بأن الإلهام العمري كان يقوم بدوره عند عقد هذا العهد أن نكبة فلسطين التي نعيشها اليوم بأقسي ظروفها إنما كانت نتيجة الإخلال بهذين الشرطين، فقد سمح للإستعمار بأن يدوسوا بأقدامهم تلك الأرض المطهرة وتلك كانت بداية الكارثة، رحم الله عمر ورضي عنه .

لقد كان طلب البطريرك دليلاً على عدم وجود اليهود بتلك الأرض، ولكن اليهود تسللوا بعد ذلك من نافذه التسامح الإسلامي، بل نقول من ثغور التساهل الذي كان المظهر المنحرف للتسامح الحكيم، فقد سمح لبعض اليهود أن يكونوا بين خدام المسجد الاقصى يسرجون مصابيحه بعد أن بناه عبد الملك بن مروان، وهنا تظهر لمحة اخرى من لمحات عمر رضي الله عنه في تصرف حفيده عمر بن عبد العزيز الذي منع ذلك بعد أن ولي الخلافة، ولقد استمر بيت المقدس بأيدي المسلمين من حين الفتح العمري إلى سنة ٤٩٢ هـ عندما استولي الفرنجة على بيت المقدس، واستمر بيت المقدس وما جاوره من السواحل بيد الفرنجة ٩١ عاماً حتى استرد البيت صلاح الدين الأيوبي عام ٥٨٣هـ ثم استرجعوه في عام ٦٢٦هـ وتم استرداده مرة اخرى على يد الملك الصالح عام ٦٤٢هـ .

وعد مشؤوم ومؤامرة دنيئة

لم ينس الفرنجة أن لهم مأرباً في بيت المقدس لم يقضوه فبيتوا للأمر وخططوا له طويلاً ودبروا وتآمروا حتى استوي لهم في عام ١٩١٧ م فاحتلوا القدس تحت راية الجيش البريطاني وبعثوا إليها طلائع الصهيونية تحت أعلام وعد بلفور، وقد حدث ذلك في نفس الوقت الذي كانوا يقطعون فيه على أنفسهم وعد الخديعة والغدر للشريف حسين أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين حتىالخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سيناءغرباً .. ونادي المسلمون برفض وعد بلفور، ورفض الانتداب البريطاني ومقاومة الحركة الصهيونية وأعلنوا إدراكهم لنوايا الصهيونية نحو السكان غير اليهود وبتبييتهم النية على إجلائهم عنها وفتح الباب للهجرة اليهودية .. ونقف هنا لنسأل :

كم كان عدد اليهود في بيت المقدس في الفترات التي عرضنا لها ؟

علمنا أنه في الفتح العربي لم يكن بها أحد من اليهود .

فإذا إنتقلنا سريعا إلى وقت الاحتلال الصليبي عرفنا أنه لم يكن بها غير المسلمين والمسيحيين وأنه لم يكن بها يهودي واحد .

وعندما فتحها صلاح الدين لم يكن بها يهودي واحد كذلك .

وفي عهد السلطان محمد الرابع سنة ١٦٧٠م كان بها من اليهود عدد لا يزيد على مائة وخمسين .. ثم أن عددهم أخذ يتزايد منذ أواخر القرن الماضي فجر الحركة الصهيونية مما دعا الدولة العثمانية عام ١٨٨٢م إلى إصدار قانون

حرمت فيه الهجرة اليهودية وشراء اليهود للأراضي ثم عدلته بعد ذلك بسبب سعي أمريكي وأعطت اليهود حق الدخول إلى فلسطين والبقاء فيها لمدة لا تزيد على ثلاثة أشهر، ولكن الذي حدث إثر ذلك هو أنهم دخلوا الأرض المقدسة وأقاموا بها وتكاثروا، ولما استقر الأمر للاحتلال البريطاني أخذت الهجرة اليهودية تتزايد ولم يكن لها شيء يبررها إلا منطق الاستعمار، تشهد بذلك لجنة بريطانية هبطت مدينة القدس برئاسة السير والترشو لتدرس المشاكل الناجمة عن الاحتكاك بين اليهود والمسلمين إذ جاء في تقريرها الذي أصدرته اللجنة عام ١٩٣٠ إنه إذا أجيب اليهود إلى طلبهم وسمح لهم بإدخال خمسة وعشرين ألف مهاجر في السنة فإنهم سيصبحون أكثرية في عام ١٩٤٨.

وننتقل إلى الحديث عن خصوصية هذه المدينة بالنسبة للمسلمين عن المسجد الاقصى المبارك، إن المسجد الاقصى له تاريخ أقدم – فيما نرجح – من تاريخ داود عليه السلام، قال الإمام أبو العباس القرطبي يجوز أن يكون بناه الملائكة بعد بنائها البيت المعمور بإذن الله، وظاهر الحديث يدل على ذلك والله أعلم .. والإمام القرطبي يشير في هذا إلى ما رواه المحدثون عن أبي ذر – رضي الله عنه– أنه قال : " قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أولا ؟ قال : المسجد الحرام . قال : قلت ثم أي ؟ قال المسجد الاقصى : قلت كم بينهما قال : أربعون سنة ".

ومن العلماء من قال : بناه آدم عليه السلام، ومنهم من قال : بناه سام بن نوح عليهما السلام . ومنهم من قال : أول من بناه وأرسي موضعه يعقوب بن اسحاق عليهما السلام، وقد تأول بعض العلماء معنى الحديث الشريف

الوارد في أن بناء المسجد الاقصى كان بعد بناء المسجد الحرام بأربعين سنة على أن المراد به بناء يعقوب عليه السلام لبيت المقدس بعد بناء إبراهيم الخليل عليه السلام للكعبة الشريفة، والذي نراه أن هذا المسجد كان موجوداً قبل داود عليه السلام، ذلك أن هذه المنطقة كانت معمورة قبله . كان ممن عمرها ناس يعبدون الله على حق. سام بن نوح مثلا لابد أن يكون ممن عبدوا الله على حق إذ كان ممن نجا من الطوفان وكان ممن عاش فيها من بين هؤلاء جميعا إبراهيم وإسحاق ويعقوب دون أن يبنوا لله مسجداً بالأرض التي عاشوا فيها ؟ أرجح الظن أنه كان لإبراهيم نصيب في بناء مسجد لله في الأرض التي عاش فيها في فلسطين .

ثم نخطو خطوة اخرى ونسأل :

عندما يأتي داود عليه السلام بعد ذلك ليبني مسجداً في الأرض التي عاش فيها جده أبو الأنبياء أكان له أن يبحث عن بناء أقامه جده ليجدده ؟ أم يبدأ في بناء جديد كل الجدة ؟ أيهما أقرب إلى طبيعة سلوك هذه الثلة الكريمة من الأنبياء التي لم تكن تغفل قط عن تأسي خطوات الأنبياء السابقين والاقتداء بهم والاعتزاز بكل ما أنجزوه والتمسك به في دقة عجيبة، ألم يكن هذا هو الموقف نفسه عند تجديد الكعبة ؟ وأليس لنا أن نهتدي بطبيعة وسلوك الشخصيات الكريمة بجانب ما نهتدي به من الأخبار المروية ؟

ثم بعد ذلك : عندما نتدبر جمع الأنبياء للصلاة بالمسجد الاقصى في الإسراء نحس بأنهم جمعوا في المكان الذي صلوا فيه يوما وإلا ألم يكن المسجد الحرام أولي إذا كان أقامه إبراهيم أبو الأنبياء .

ثم ما الذي جعل محمد "صلى الله عليه وسلم" يتجه اليه في صلاته أولاً؟

أكان محمد "صلى الله عليه وسلم" يتجه إلى مكان أنشأه داود عليه السلام ؟ أم كان يتجه إلى المكان الذي أنشأه جده إبراهيم ؟

إذن : نحن نرجح أن البيت أقدم من داود عليه السلام وأنه يمتد إلى زمن إبراهيم عليه السلام وقد يكون أقدم وعلي أية حال :

هل لإسرائيل اليوم أن تزعم لنفسها حقاً يلغي حقوق الآخرين في هذا المكان المقدس ؟

إننا نجزم بأنه ليس لها شيء من ذلك للأسباب الآتية :

أولا : لأن هيكل داود أو سليمان ليس له أثر على الإطلاق بعد أن دمر أكثر من مرة وأقيم مكانه معبد الاله " جوبيتر " وأصبحت بقاياه هى ما يتمسح به اليهود اليوم .

ثانيا : لأن المسلمين أولي بداود النبي المرسل عليه السلام فهو صاحب دعوة إلى الإسلام شأنه في ذلك شأن جميع الأنبياء .

ثالثا : لأن داود عند اليهود ملك ليس له شيء من قداسة الأنبياء التي يقرها المسلمون وإذن فما يبنيه ملك مجرد من القداسة عندهم كيف تكون له عندهم قداسة دينية ؟

رابعا : لأن اليهود هم الذين دنسوا من قبل المعبد الذي بناه داود ذلك أن الملك يهواش ملك إسرائيل أغار على المدينة واستباح هيكلها، أما المسلمون فقد كانت عنايتهم بالمسجد وتقديسهم له نابعة من شعورهم الديني الأصيل .

لقد وجد عمر رضي الله عنه المكان ممتلئاً (بالقمامة) التي وضعها النصارى فيه ذلك أن الملكة " هيلانه " عندما زارت إيليا وبنت فيها كنيسة القيامة سنة ٢٣٥م جعلت مكان الصخرة لقمامات المدينة وعند ذلك جعل عمر يكنس القمامة والمسلمون معه وبعد أن فرغ من ذلك صلى هناك، وهناك أقيم المسجد. ثم جاء عبد الملك بن مروان فبني في نفس المكان مسجد قبة الصخرة وبني بعده المسجد الاقصى ورتب له الخدم، وباختصار فإنه ما من ملك من ملوك العرب والمسلمين حكم القدس إلا وكان له فضل تجديده والعناية به .. لقد توخينا فيما عرضناه عن المسجد الاقصى إبراز الحقائق التاريخية التي تتعلق بها كل مطالب العرب وأماني إسرائيل .

ولقد وجدنا أن هذه الحقائق التاريخية تبنت أصالة وعراقة الوجود العربي الإسلامي وهى تثبت في نفس الوقت عرضية الوجود الإسرائيلي .



أحمد يوسـف القرعي

باحث ومفكر سياسي

عاصمة إسرائيل

تحتفل إسرائيل–كما تزعم– بالألف الثالث–وفقاً للتقويم العبري – لإعلان القدس عاصمة لمملكة يهودية، والتي قامت عام ٦٩٩ قبل الميلاد ولسنوات قليلة لا تقاس بتاريخ المدينة المقدسة الطويل والمزمن ومقابل ثلاثة عشر قرنا ظلت المدينة المقدسة خلالها عربية في أصالتها وإسلامية في هويتها .

هكذا تغالط إسرائيل مغالطات تاريخية لا تفوت على أي باحث مبتدئ في التاريخ وحقائق التاريخ تقول أن حقبة مملكة يهودا لا تمثل سوى برهة زمن عابرة من تاريخ طويل وحافل ومتصل تعرضت فيه المدينة للغزاة أكثر من ٤٠ مرة وفي كل مرة ظن المحتلون أن المدينة قد فقدت هويتها العربية .. لكن القدس كانت تلفظ كل دخيل وتعود دائما كما كانت عربيه إسلامية .. وفي محاولة لتنشيط ذاكرة التاريخ لدى الجيل الجديد نقول: إن القدس عربية النشأة والمولد .. واليبوسيون (بطن من الكنعانيين) هم مؤسسو المدينة حوالي ٣٠٠٠ ق.م فهم أول من سكنوا أرضها واستوطنوها وأقاموا الأبنية وتكاثروا وشيدوا معالمها

العريقة وجعلوها حاضرة ملك لهم . وظل إلى بوسيون محتفظين بإسمهم هذا إلى عهد الميلاد وكانت لغة الكلام كنعانية اشتقت من العربية الأولي التي تولدت في قلب الجزيرة العربية وظلت القدس تتكلم بتلك اللغة منذ نشأتها القديمة إلى نحو سنة ٤٠٠ ق.م حين إنتشرت اللغة الآرامية وهى أيضا مشتقة من العربية الأولي وظلت الآرامية سائدة حتى حلت محلها اللغة العربية الحديثة بدخول العرب المسلمين إلى البلاد .

أما القبائل اليهودية فقد غزت القدس في نحو سنة ١٠٠٠ ق.م وأسسوا فيها مملكة داود وسليمان ولم يحكموا في القدس حكماً موحداً إلا مدة ٧٠عاماً ثم تجزأت المملكة إلى مملكتين – إسرائيل ويهوذا، وأصبحت القدس عاصمة للأخيرة وسرعان ما أزيلت هذه المملكة على يد نبوخذ نصر عام ٥٨٧ ق.م ودمر هيكل سليمان وسبي اليهود إلى العراق إلا أنهم عادوا إلى القدس عام ٥٣٨ ق.م مع القائد الفارسي قورش الذي حررهم ونقل ٤٠ألفاً منهم إلى فلسطين وبعد الإحتلال الإغريقي لفلسطين عام ٣٣٠ ق.م جاء الاحتلال الروماني عام ٦٣ ق.م كما طرد الإمبراطور الروماني هادريان عام ١٣٥م اليهود من المدينة وحرم عليهم الإقتراب منها .. ومع ظهور الإسلام أسرى بالرسول الكريم محمد "صلى الله عليه وسلم" إلى (بيت المقدس) القدس وإعتبرها المسلمون مدينة لديهم وفتحوها عام ٦٣٦م في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بعد حصار طويل .

وحافظ العرب على المدينة المقدسة ودور العبادة فيها وتوسعت وشيد عبد الملك بن مروان في عهده عام ٦٨٥م مسجد الصخرة المشرفة كما شيد خليفته

الوليد بن عبد الملك المسجد الاقصى . وتعرضت القدس للغزو الصليبي عام ١٠٩٩ واستعادها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي عام ١١٨٥م ودخلت المدينة بعد ذلك تحت الحكم المملوكي ثم الحكم العثماني عام ١٥١٥م وأعاد سليمان القانوني بناء سور القدس البالغ طوله أربعة كيلو مترات، وإرتفاعه إثنا عشر متراً وله ثمانية أبواب . واستمرت القدس تحت السيطرة العثمانية حتى عام ١٩١٧م حيث سقطت تحت الإحتلال الإنجليزي في ١١ ديسمبر من العام نفسه وبقيت خاضعة للإدارة العسكرية البريطانية حتى عام ١٩٢٢م عندما فرض الإنتداب البريطاني وثار العرب على سياسة الإنتداب التي كانت تشجع هجرة اليهود إلى فلسطين، وقدمت لجنة بيل تقريراً أوصت فيه بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود فأبقت القدس وحيفا تحت الإنتداب ولكن الوضع استمر كما هو عليه حتى ٤ مايو ١٩٤٨ عندما إنسحبت حكومة الانتداب من فلسطين وأعلنت الحركة الصهيونية قيام دولة إسرائيل بعد، أن وافقت على قرار فلسطين (٢٩ نوفمبر ١٩٤٧) الذي وضع مدينة القدس وما حولها وصولاً إلى بيت لحم تحت وصاية دولية إلا أن إسرائيل سيطرت على جزء كبير من المدينة بعد انضمام الضفة الغربية بما فيها القدس إلى الأردن عام ١٩٥٠ وفي العام نفسه أعلنت إسرائيل القدس الغربية عاصمة لها ونقلت الكنيست إليها واستمر الوضع كما هو عليه حتى حرب يونيو ١٩٦٧ عندما ضمت إسرائيل كل المدينة بعد إحتلالها للأراضي العربية الاخرى وبدأت في عملية التهويد منذ اليوم الأول للاحتلال .. ولا شك أن اللجوء إلى إعادة قراءة صفحات التاريخ العربي للقدس سوف يسلح هذا الجيل بسلاح معرفة أبعاد القضية وحقائقها في مواجهة افتراءات إسرائيل على التاريخ العربي .

د.إداوارد سعيد

جامعة كولومبيا الأمريكية



قصة استلاب عربية

منذ قيام إسرائيل بضم القدس، تعرضت جغرافيتها وبيئتها وهالتها التاريخية خلال تلك الفترة إلى تجاوزات بالغة الفظاظة وتغييرات قسرية وعبث ديموغرافي وعلى رغم ذلك، لم يرشح عن هذا التاريخ المؤلم إلى العالم الخارجي سوى إنه رمز جدير بالإعجاب لنشاط إستيطاني برئ، ما يعني طمس ما تعرضت له القدس وما أجبرت على تحمله الغالبية الفلسطينية في الجزء الشرقي من المدينة من خسارة ومعاناة جسيمتين .

لذا فإن أول ما يمكن أن نلاحظه ليس مجرد قدرة إسرائيل على أن تفعل ما تفعله في وجه مقاومة أولية وإحتجاج عالمي –كان هناك في أي حال عدد من قرارات الأمم المتحدة التي احتجت على إجراءات إسرائيل المتخذة من طرف واحد في القدس – بل قدرتها أيضا على أن تعطي العالم انطباعاً بأن مبادراتها التعسفية جاءت لتحقيق ما هو حق، وأن الاعتراضات التي كانت على نطاق يكفي لردع أية جهة أخري، كانت تافهة ومضللة . وهذا مؤشر على مدي

جدية إسرائيل في تعاملها مع مهمتها في القدس، التي تمثلت في تحويلها من واقع متعدد الثقافات إلى واقع يهودي في الأساس تسيطر فيه إسرائيل وحدها على السيادة من دون منازع وتضمن ذلك الترويج لفكرة عن المدينة لا تناقض تاريخها وحسب بل تناقض أيضا واقعها الفعلى، مصورة إياها كأنها المركز الوحيد " إلى الأبد " لحياة اليهود في أنحاء العالم إذ ذاك فقط بعد ما فعلت ذلك أولاً على صعيد التصورات والمعلومات، مضت إلى القيام بما فعلته على الأرض، أي تنفيذ المسح المعماري والديمغرافي والسياسي على نطاق هائل إنسجاماً مع التصورات والانطباعات .

هذه العملية التي تبدأ ببث الإنطباع أولاً ثم البناء والتشريد لاحقاً، تستمر حتى اللحظة الراهنة . وبدأت عام ١٩٤٨ في ما كان يسمى وقتها القدس الغربية، ذلك الجزء من المدينة الذي فيه ولدت وقضيت سني الأولي .. ومن المهم أن نتذكر هنا، كما قال رشيد الخالدي ضمن " محاضرة إنطونيوس " في كلية سانت إنطوني عام ١٩٩٠، أن كثيرا مما يجري النظر اليه اليوم بإعتباره القدس العربية الإسرائيلية كان يتألف في الحقيقة من أحياء عربية قبل القتال في ربيع ١٩٤٨، عندما شرد أكثر من ٣٠ ألفاً من سكانها أو هربوا من ديارهم في أحياء مثل البقعة العليا والسفلي وقطمون والطالبية، وذلك قبل أشهر عدة من إخراج حوالي ألفين من اليهود من الحي اليهودي في المدينة القديمة .

ولم يجد أي من هذا التاريخ الملموس عن الخسارة والحرمان طريقه أبداً إلى السجلات الرسمية لـ " حرب الاستقلال " الإسرائيلية، كما أطلق عليها بفجاجة . وكانت القدس مصدر الكثير من الإستحسان الذي لقيته إسرائيل من العالم

بعد ١٩٤٨ . فحسب الرواية الرسمية للواقع كانت القدس أشهر مدينة في بلد اعتبر مثل مشروع مارشال وإعادة بناء أوروبا واليابان واحداً من الإنجازات العظيمة في فترة ما بعد الحرب التي حظيت بالتمجيد والإطراء وكل أنواع التبجيل فإسرائيل هى التي جعلت الصحراء تزهر وزرعت الأراضي القاحلة وأعادت تصميم البيئة وأنشات الديموقراطية وأقامت في القدس الغربية نصباً تذكارياً للمحرقة كما شيدت صرحها الإشتراكي، الكنيست واقتضي الأمر الإنتظار إلى حين ظهور جيل آخر من الإسرائيليين الذين عرفوا بـ " مراجعي التاريخ " مثل بني موريس وتوم سيغف وآخرين ليكشفوا بعضاً من الثمن الذي ترتب على إقامة إسرائيل وتحمله أساساً الفلسطينيون بصمت . ولم يتسن التدقيق في بعض سجلات الحكومة الإسرائيلية في ١٩٤٨ إلا العام الماضي، وهى أيضا تتحدث عن سياسات مبرمجة خططت لإخراج الفلسطينيين وإزالة آثارهم رسمياً وإلغاء وجودهم قانونياً ومؤسسياً .

وليس أقل دلالة على عجز الفلسطينيين، أو ما يمكن أن نسميه " عدم الكفاءة الجماعي " أن قصة ضياع القدس في ١٩٤٨ ، ١٩٦٧، لم تصدر عنهم بل إنها بقدر ما يتعلق الأمر بالتحدث عنها إطلاقا – أعيد تركيبها في صورة جزئية اما من جانب إسرائيليين من المتعاطفين وغير المتعاطفين معهم أو من جانب أجانب بكلمة اخرى لا يقتصر الأمر على غياب أي قصة فلسطينية للعام ١٩٤٨ وما تلاه يمكن على الأقل أن تتحدي القصة الإسرائيلية المهيمنة، بل كذلك لا يوجد أي تصوير فلسطيني جماعي للقدس منذ خسارتها المؤكدة في ١٩٤٨ ومرة اخرى في ١٩٦٧ وهذه هى النقطة الجوهرية لكلامي

أي التركيز على هذا الإهمال التاريخي والسياسي البالغ الغرابة الذي أدي إلى فقداننا الروحي للقدس قبل وقت طويل من فقدانها واقعاً .

أعتقد أن هناك حاجة إلى أن نقول ونكرر أن المطلب العربي الفلسطيني بالقدس القائم على أسس من الحضارة والتاريخ موجود بالفعل ويجب إطلاقه بجد وإجتهاد . لكن أرى أن ليس من سبيل لإطلاقه بصدقية ما لم نبدأ بالفهم الدقيق والتام الموضوعي لتاريخ خسارتنا المتدرجة للقدس وعندئذ فقط يمكننا معرفة الشروط الضرورية لإطلاق المطلب مع بعض الأمل في النجاح . علينا أن ندرك أن عدد العرب مع سكان القدس الشرقية والقري المحيطة بها عندما احتلتها إسرائيل مبكراً في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ كان نحو ٧٠ ألف نسمة، مقابل نحو مئتي ألف من اليهود في القدس الغربية . وبنهاية الشهر نفسه ألغت إسرائيل الحواجز بين القدس الشرقية والغربية ورسمت حدودها البلدية، متضمنة القدس الشرقية لتغطي ٢٨ميلاً مربعاً . وتسلم " تيدي كوليك " رئاسة بلدية موحدة للقدس، وتم ذلك على أساس الحل الفوري لبلدية القدس الغربية . وأمر كوليك بتدمير حارة المغاربة وتشريد سكانها . وتواصل صهر المدينتين في كيان واحد على مدى السنين، وعلي رغم أن عدد الفلسطينيين تضاعف بحلول أوائل التسعينات إلى نحو ١٥٠ ألف نسمه فلا تسمح لهم إسرائيل بالبناء إلا على ١٠ إلى ١٥ في المئة من مساحة الأرض . وخصص نحو ٩٠ في المئة من أعمال البناء لليهود مقابل ١٢في المئة للعرب (التفاصيل عن القدس) –كتاب معلومات تأليف مارثا واجنر، إصدار : ميريب أيار – حزيران ١٩٩٣ واستمرت مصادرة الأراضي في القدس ومحيطها في شكل منظم، ووسعت حدود البلدية

ويحيط بالمدينة الآن طوق من المستوطنات اليهودية الضخمة (البالغة البشاعة) المسيطرة استراتيجياً على المنطقة، فتشكل إعلاناً إستفزازياً بأن القدس يجب أن تكون وستكون دوماً، مدينة يهودية، على رغم وجود عدد كبير لكن مسلوب القوة وتحت الحصار من الفلسطينيين. وأشار الجغرافي الهولندي يان دي يونج إلى ذلك عندما كتب " الذين يتوقعون أن تكون خريطة القدس المطروحة على الطاولة (في مفاضات الوضع النهائي) مطابقة لوضعها بعد ١٩٦٧ سيفاجأون تماماً فالأرجح أن (الخارطة) ستمتد من بيت شمس ومدعين في الغرب (أي نصف الطريق إلى تل أبيب تقريباً) إلى كيلو مترات قليلة عن حلحلول والخليل في الجنوب، إلى ما بعد رام الله في الشمال، وإلى بضعة كيلو مترات عن أريحا في الشرق . هذه المساحة الهائلة التي تعتبرها إسرائيل عادة القدس الكبرى تبلغ ٢٥٠ اكيلو متراً مربعاً يقع ثلاثة أرباعها في الضفة الغربية " .

وهكذا فإن القدس في شكلها الموسع الحالي (الذي يقل قليلا فقط عن الصورة المستقبلية التي يرسمها دي يونغ) تمثل نحو ربع أراضي الضفه الغربية . وأعطت إسرائيل سكانها الفلسطينيين وضعا إستثنائياً وغريباً . فعلي رغم أن إسرائيل ضمت القدس الشرقية فهى لا تعتبر السكان من غير اليهود مواطنيين، وليس لهم حق التصويت خارج الإنتخابات البلدية وهم قانونيا " مقيمون أجانب " ولم تسمح إسرائيل، خلال المسار التفاوضي الإسرائيلي – الأردني – الفلسطيني الذي بدأ في واشنطن أواخر ١٩٩١، بعد مؤتمر مدريد لأي فلسطيني من القدس بالانضمام إلى الوفد الفلسطيني المفاوض والآن خلال المفاوضات بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية لايزال السؤال عن إمكان مشاركة فلسطيني

القدس في الانتخابات الفلسطينية المزمعة يمثل مشكلة صعبة.. من جهة اخرى فقد تسبب حظر دخول سكان غزة والضفة الغربية إلى القدس بمشاكل لهؤلاء لأن القدس الشرقية تمثل المركز الإقتصادي الرئيسي لهم، وهو ما تدركه إسرائيل تماماً . ويعني الضم الدائم للقدس الشرقية، ودمجها في نظام " العزل" الذي تحاول حكومة العمل الإسرائيلية فرضه، بتر القدس عن علاقاتها الطبيعية مع بقية الأراضي الفلسطينية وهو ما يلحق ضرراً دائما بتلك الأراضي .

إلا أن هذه بالضبط هى خطة إسرائيل وهى علماً ليست هجوماً جغرافياً فحسب بل هجوماً يستهدف الحضارة وبالطبع الدين . إن فلسطين التاريخية كانت دوماً بوتقة متماسكة من الحضارات والأديان التي تتعايش وتتمازج على تلك الأرض . إلا أن الطموح الصهيوني، بلغ من القوة وأيضا في رأيي من الرفض للتعددية الاجتماعية حتى سيطر على الأرض وعلي الماضي وعلي الحضارات والتقاليد الحية المترابطةوأعمل في تلك الأرض بتراً وتقطيعاً بهدف الإستئثار الكامل بها. وهنا تقدم القدس مثالاً ممتازاً على ما أقصد فإن للقدس تاريخاً مدوناً من عشرة آلاف سنة شهدت خلالها ما لا يمكن تصوره من عهود الإحتلال إلا أن التعايش بين التقاليد والثقافات المختلفة استمر على رغم ذلك ، ولو بصعوبة أحياناً ومن الصعب جداً القول الآن – بإستعمال أية معادلة رياضية أو أية صيغة اخرى منصفة – أن التأثير الغالب خلال كل تلك الحقب كان يهودياً . لقد كان هناك بالتأكيد خلال الثلاثة آلاف سنة المنصرمة حضور يهودي وكانت هناك لفترة قصيرة قبل الميلاد وفترة قصيرة بعده، مملكة يهودية عاصمتها القدس . لكن الحضور الإسلامي كان له أصول وأكثر تواصلاً، كما

كان هناك دوما حضور مسيحي كثيف من هنا فإن صرف كل بالقول بالسيادة الكاملة لليهود على المدينة فيه كثير من الإجحاف وإلغاء حقوق الآخرين وأرجو أن تلاحظوا أنني لا أنكر أبداً ما يقوله الكثير من الباحثين التاريخيين والدينيين، من أن للقدس مكاناً خاصاً في تاريخ اليهودوتقاليدهم ربما أكثر تميزاً مما لأي من الأديان الاخرى . إلا أن الاعتراف بهذا لا يضمن في أي شكل من الأشكال حق إسرائيل – وهى دولة حديثة في أواخر القرن العشرين – في القول أن القدس عاصمتها الأبدية الموحدة، منكرة بذلك ليس فقط حق سكانها الفلسطينيين الحاليين بل تاريخ المدينة الطويل والمتنوع والمثير من حيث تعدديته الحضارية .

من جهتي أجد النقاش على هذا الأساس عن الملكية الفعلية للقدس كريهاً ومفتقراً إلى معنى . فهو لا يتماشي مع هالة البهاء والعظمة المحيطة بالمدينة، أو مع تاريخها الغني المتوع دينياً وحضارياً وحتى سياسياً لكن علينا أن نعترف بأن القدس خصوصاً ، وفلسطين عموماً، أثارت دوماً لدى مختلف الأقوام مشاعر تمزج ما بين التطلع الروحي ورغبة التملك . هكذا لم يجد ذلك الرجل الصالح" برنار " المنتمي إلى كليرفو حرجاً في إلقاء المواعظ في أعماق بورغندي يعلن فيها ما لفلسطين البعيدة ألوف الأميال عن بلاده من موقع متميز في قلب المسيحية، وضرورة إطلاق حملة صليبية للإستحواذ عليها . واتخذ الإسلام في القرن السابع موقفاً مشابهاً، على رغم أنه كان أقرب بكثير إلى فلسطين إلا أن الإسلام لم يلجأ إلى إعتبار الآخرين ضرباً من الشياطين –كما يفعل الأوروبيون في أحيان كثيرة. ويصف يوري أيزنتسفايغ في دراسته الثاقبة لدور الأرض في المخيلة

اليهودية ما أثارته الأراضي المقدسة من تطلعات ومخاوف وإنجذابات عند يهود أوروبا .

لكن هناك بالطبع فرقاً كبيراً بين التفحص العلمي لأنماط الماضي ومواجهة التدخلات الفجة المعاصرة التي تقوم بها إسرائيل منذ ١٩٦٧ في القدس لأن خطتها لا تطمح إلى أقل من إلغاء حقوق الفلسطينيين وتحويلهم إلى أقلية وفي الوقت نفسه إقامة وجود إسرائيلي محصن يقزم أو يهمش تماماً واقع التنوع الذي يميز المدينة، ويقدّم تقرير الصحافية " أيلين روث فلتشر " نشرته في نيسان (إبريل) الماضي صحيفة " واشنطن بوست " تفاصيل عن حملة البناء الإسرائيلية التي تغطي تلال القدس المتموجة ووديانها التي كانت خضراء وبيئتها الوادعة، وترتفع الفنادق ومباني المكاتب على الأسوار القديمة ويريد لها رئيس البلدية الحالي أيهود أولمرت (الذي يكاد يحيلنا نحن إلى عهد كوليك) أن تهيمن على كل معلم عربي أو إسلامي، وتقول فاتشر " إن هناك في منطقة عين كريم، حيث ولد يوحنا المعمدانمشروعاً سياحياً مثيراً للجدل يشمل إقامة فندق ومجمع للسياح وشق الطرق يفترض له أن يتزامن مع احتفالات إسرائيل من نهاية السنة الجارية إلى السنة المقبلة بمرور ثلاثة آلاف سنة على اتخاذ الملك داود القدس عاصمة له" وتنتشر الطرق الجديدة والأسواق والعمارات السكنية في كل مكان، وتقول فلتشر إن ذلك وصل إلى حد أنه أخذ يمحو الفرق بين القدس وبيت لحم كمدينتين منفصلتين .ومن المهم أن نلاحظ أن عدداً من الإسرائيليين بدأ الكلام عن هذه الاستراتيجية الفجة المفتقرة إلى الإحساس وقرأت في مكان ما أن عضوة الكنيست يائيل دايان وافقت على حضور لقاء يضم فلسطينيين لتؤكد هناك أن القدس عاصمة لشعبي دولتين، وتنتقل أيلين فلتشر عن إلى نوربازرتشي

نائبة مدير قسم المعمار في جامعة تل أبيب وكانت سابقاً رئيسة قسم التخطيط لبلدية القدس قولها إن حملة أولمر البنائية تشبه رسم شاربين لموناليزا !

لكن يبدو أن هذا كله لا يهم إسلئيل كثيراً خصوصاً بعدما نالت مساندة أعضاء في الكونجرس الأمريكي، بدأوا بحملة لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس منتهكين بهذا سياسة الولايات المتحدة المعمول بها منذ ١٩٤٨. وهذا جزء من حمي جمع المال التي تصيب المسئولين والمنتخبين للانتخابات الرئاسية . ومن الصحيح بالطبع أن المصادرة الأخيرة للأراضي في القدس الشرقية ، وهى العملية المئة من نوعها منذ التوقيع على إعلان المبادئ في أيلول (سبتمبر) ١٩٩٣، أوقفت بسبب ضغوط داخلية وخارجية لكن علينا أن نلاحظ أنها " جمدت " فقط ريثما تحقق الوزارت المعنية أكثر في الأمر، ما يترك لإسرائيل خيار الإستيلاء على أراض إضافية لاحقاً متي سمحت الظروف . كما أننا نعلم بفضل تقرير من باتريك كوبرن نشرته صحيفة " أندبندنت البريطانية " في ٢٨أيار (مايو) الماضي، أن المنظمات الصهيونية تتحرك في الأردن لشراء أراضي فلسطينية أكثر في القدس إضافة إلى ذلك يمكن أن يؤكد كل سكان القدس الشرقية أنهم يواجهون في أية لحظة خطر اقتحام مساكنهم ومصادرتها وإعطائها للغير .

هكذا فإن كانت إسرائيل أخذت القدس من الفلسطينيين فما هى الخطوات التي يمكن القيام بها .. وما هى القيم والمبادئ التي يجب إعلانها .. وما هى سبل استعادتها مستقبلاً ؟ إن القدس مع كل ما لها من القدسية والأهمية، لا تختلف من حيث المبدأ عن بقية الأراضي المحتلة – أي أنها، حسب القانون

الدولي ليست ملكاً لإسرائيل وحدها يمكنها التصرف به، أو القيام بمشاريع بنائية فيه أو أن تستغله بمعزل عن الفلسطينيين وغيرهم .. إذن نحن نحتاج منذ البداية إلى إعلان واضح عن الأهداف والمبادئ التي تهدينا وإذا تطلب هذا بالتالي إعادة النظر في إتفاق أوسلو وإعادة صياغته، فهذا ما يجب أن يحدث .

إن إسرائيل تعيد تفسير أوسلو أو بالأحري تنتهكه طوال هذه الفترة والمبدأ هو الآتي هناك واقع فلسطيني - إسلامي -مسيحي متعدد حضارياً في القدس ولن نسمح بإزالته أو طمسه من جانب إسرائيل ودورنا كفلسطينيين، كطرف في عملية السلام بين إسرائيل والشعب الفلسطيني مؤمن بالعملية هو إدخال هذه الحقيقة في عملية السلام بعد ما كانت أخرجت منها تدريجياً خلال السنوات الماضية لكن ليس من فائدة في قول هذا ما لم يكن جزءاً من إستراتيجية عامة للوصول عن طريق التفاوض إلى السلام الذي نريده ولا يكفي أن نكرر ميكانيكياً أن القدس الشرقية عربية بل إنني شخصياً لا أعتقد أبداً أن مصلحتنا كشعب أن نضيف تقسيماً جديداً إلى مدينة بقيت مقسومة عرقياً وإن كانت ملصقة ببعضها بلدياً، بالشكل الذي عملته إسرائيل بل أعتقد أن الأفضل بكثير أن نقدم مثالاً يحتذي ونوفر بديلاً من الوسائل التي تستعملها إسرائيل، عن طريق رسم صورة للقدس كلها تكون وفية لمزيجها المعقد من الأديان والتواريخ والحضارات وليس للقدس كشيء نريد أن نعيد شطره من جديد إلى شطرين .

القدس الشرقية بالطبع جزء من الضفة الغربية المحتلة وهذه نقطة يجب التأكيد عليها مراراً وتكراراً، ولهذا يجب ربطها بالقضية الأكبر قضية تحرير الفلسطينيين من وطأة الاحتلال الإسرائيلي لكن القدس، بعد ذلك، وللأسباب

التي ذكرت سابقاً هى في الحقيقة المكان الوحيد الذي يمكن أن يكون فيه اللقاء والتعايش والمشاركة بيننا وبين الإسرائيليين وهذا ما علينا تأكيده، أي أن نتكلم عن القدس كمدينة ذات سيادة مشتركة ورؤية تعاونية مشتركة وأن نؤسس هذا الموقف على مبدأ حقنا في تقرير المصير والاستقلال كشعب ومجتمع .

واقع الحال بالطبع أكثر تعقيداً وقسوة من هذا ذلك إن إسرائيل والولايات المتحدة تسيطران الآن سويا على عملية السلام وتستمر إسرائيل منذ ٢٨ سنة في توسيع المستوطنات وإنشاء مستوطنات جديدة والقدس جزء من هذه السياسة مع فارق أن إسرائيل تطرح محلياً وعالمياً الشعار البشع عن " تهويد القدس "، وأري أن من الواجب مجابهة ذلك عن طريق حملة إعلامية منسقة وجيدة التنظيم تضع الحقائق أمام المجموعات الإنسانية الكبيرة في أنحاء العالم التي يهمها أمر المدينة، إضافة إلى سياسة حازمة تعيد ربط مصادرة الأراضي وأعمال البناء غير الشرعية وما شابه من الإجراءات بعملية السلام لقد أضعنا مقداراً هائلاً من الوقت لأن إسرائيل بدأت بتغيير طبيعة القدس مباشرة بعد احتلالها، ويجب وضع سجلها المخزي أمام العالم العربي والإسلامي والمسيحي لأن الجميع أطراف في القضية، فوق كل ذلك علينا أن ندحض الإدعاء الزائف بأن القدس جوهرياً مدينة يهودية وإنها كانت كذلك دوماً . وهذا ببساطة يناقض الوقائع تماماً، لكن علينا أن نتذكر أن الوقائع لا تتكلم عن نفسها بل ينبغي إنطاقها ونشرها وتكرارها وإعادة نشرها.

إن إسرائيل في رأيي تستعمل عملية السلام كحيلة تمكنها من الإستمرار في السيطرة على الأرض كأنها مالكتها الوحيدة . ومنظورها للمستقبل

الفلسطيني يتلخص بـ " الفصل " و " الكانتونات " المشابهة للبانتوستانات، التي تحاول فرضها على من تعتبرهم بشراً أقل إنسانية من غيرهم من خلال خطة " قوس قزح " لقد قبلنا السلام والأمن، وبرهنا على ذلك مراراً وتكراراً، لكن من دون مقابل من إسرائيل هل يتلخص وضع الفلسطينيين بالضرورة ومن دون إمكان للتغيير في أنهم الطرف المهزوم الذي عليه الإنصياع لأوامر المنتصر ؟

لا يمكنني أن أقبل منطقاً كهذا بل إن علينا كما أرى أن نتخذ على الصعيد الفكري تلك الخطوة الأولي البالغة الأهمية، وهى أن نقول أن أهدافنا قابلة للتحقيق، وأن من الممكن، بل من الضروري العمل من أجل تحقيقها . الخيار الوحيد الآخر هو خيار الاستسلام والاضمحلال الذي تعرضه إسرائيل والولايات المتحدة وتنقاد اليه الأسرة الدولية المفترض أن قراري مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ يشكلان أساس السلام بين العرب والإسرائيليين لكن إسرائيل تنتهكهما يومياً ألا يمكن أبداً أن نعود إلى ذكرهما ؟ إضافة إلى ذلك نحن بحاجة إلى تقدير معقول ومنصف لموجوداتنا وهى تشمل أكثر من الـ ١٩ ألف شرطي الذين يخدمون عرفات في غزة وأريحا وكما قلت فإن هناك عدداً كبيراً من الفلسطينيين في الشتات وكانت هذه هى المجموعة التي أنتجت منظمة التحرير الفلسطينية، وأنتجت أيضا الكثير مما لدى الفلسطينيين الآن مادياً ومعنوياً إننا نشكل مورداً إنسانياً غير حكومي كبير، ويجب أن ندرك الآن أن الأراضي المحتلة هى ذلك الجزء من فلسطين الذي يعود لنا وعلينا العمل من أجله .

وما لم نعد تصور طرح القدس كعاصمة مزدوجة وليس كعاصمة لليهود وحدهم فإنها ستبقي رهينة لمخططات إسرائيل المهينة . لماذا بقيت خطط

إسرائيل في الإحتفال بمرور ثلاثة آلاف سنة على كون القدس عاصمة يهودية من دون رد جواب جاد ومنظم من الفلسطينيين وغيرهم من الذين يعتبرون أن القدس عاصمتهم أيضاً ؟ إن القول بمرور ثلاثة آلاف سنة متواصلة على سيادة اليهود على القدس هو دون أساس تاريخي تماماً . أنه تصور يطرح على أذهان يفترض فيها الجهل والسذاجة . ويجب إسماع العالم بمطالبنا وهى لا تقل أهمية عن الادعاء هذا إن لم تفقه أهمية ولابد من تطوير إستراتيجية قوية في هذا الإتجاه خارج فلسطين إذ تتوفر لها الفاعلية الأكبر، إن هذا أمر ساء القياديون الفلسطينيون فهمه دوماً لأسباب أجهلها تمام الجهل، خصوصاً في هذا الوقت الذي تعتمد فيه إسرائيل بشدة على الغياب شبه الكامل للصوت الفلسطيني والتصورات والإستراتيجيات المضادة التي يحملها . إن لدينا تعاطفاً هائلاً من العالمين العربي والإسلامي، والكثير من التعاطف في الغرب والأوساط المسيحية . وعلينا العمل على كسب تأييد قطاعات إضافية .

لابد لاستراتيجية مثل هذه أن تشمل مساندة مقاومة فلسطيني القدس ويحاول فلسطينيون في شكل فردي منذ سنتين التصدي لمخططات إسرائيل في الإستيلاء على أراضيهم ومساكنهم، وشكلت قبل عشر سنوات بمساعدة فلسطينية من الخارج لجنة لحماية المساكن في القدس القديمة وشملت نشاطات اللجنة مساعدة المتضررين على اللجوء إلى المحاكم وتعليم النساء والتدريب المهني وإقامة نظام للإنذار المبكر عن غارات المستوطنين . ولا أعرف اليوم أين وصلت اللجنة في أعمالها، ولا حتى إذا كانت لاتزال موجودة إلا أن شعوري بضرورة التحرك السريع ينبع من الخطر المحيق بوجود الفلسطينيين وممتلكاتهم في ما

يسمى " القدس الكبرى " إن هذا يجعل القدس الخط الأول في الصراع من أجل تقرير المصير الفلسطيني ولذا يجب تمويلها وإعلام العالم عن وضعها المأسوي وبذل كل الجهود لشن الحملات الإعلامية الجماعية دفاعاً عنها .

استطاعت إسرائيل أن تستفيد من صمتنا وتستغله لمصلحتها تماماً مثلما استغلت لمصلحتها متغيرات الوضع الدولي من الحرب الباردة إلى الفترة التي تلتها . بالمقابل كانت سياسة العرب الإعلامية تجاه القدس وحقيقة المطالب الفلسطينية والعربية فيها من الضعف حتى تدفع إلى التساؤل إذا كان هناك أي وجود لإرادة عربية مشتركة ووعي عربي مشترك .. ومهما كانت الحقيقة هنا فإن من المفيد أن نلاحظ أننا لا نقتصر على إهمال ما للمعلومات والأرقام الصحيحة من تأثير كبير في العقول والقلوب عندما تفضح الأكاذيب التي تنشرها إسرائيل عن الفلسطينيين والقدس بل إننا كفينا أنفسنا عناء معرفة واقعنا وحقيقة سياسات إسرائيل تجاهنا .. لن أحاول أن أفسر لماذا لم يتم، خلال السنين الخمس والعشرين الأخيرة التي قامت إسرائيل خلالها بضم القدس بشكل غير شرعي وعملت على تغيير واقع المدينة، الإعلان أو البدء بتنفيذ ولو مشروع فلسطيني عملي واحد، كما لا يمكنني أن أفسر لأحد السبب في أن القيادات العربية والفلسطينية بعد كل هذه السنين من الهجمة الصهيوينة الإسرائيلية ضد مصالح الفلسطينيين، قررت ببساطة أن كل ذلك لا يعنيها في شيء، لأن الهدف الآن هو السلام، ولو كان حسب شروط إسرائيل وأمريكا .

من جهتي أعارض ترك القدس إلى النهاية لأنها حسب القول المكرور القضية الأصعب على المعالجة إن القدس بؤرة كل جهودنا لأنها تقع في قلب

الأراضي المعنية وهى أيضا قلب الصراع الأيديولوجي ومهما كانت الأبعاد الاخرى لقضية القدس فهى تبرز في شكل درامي، أيضا الفرق بين منظور أيديولوجي ضيق للتاريخ والمجتمع والرؤيا الشمولية التحررية الجامعية التي علينا صوغها والعمل من أجلها إنها أيضا المكان الذي خصه الإسرائيليون بأكثف ما لديهم من جهود .

ولا أرى كيف يمكن عمل أي شئ لتغيير الإجراءات الإسرائيلية أوإعاقتها أو التأثير فيها في شكل من الأشكال من دون أن نتعامل أولاً مع الإطار الإعلامي الأيديولوجي الذي أقامته إسرائيل حول المدينة ذلك أن هذا الإطار يشكل نقطة الضعف الإسرائيلي التي يمكن مواجهتها بالنقاش والتعبئة الفكرية والأخلاقية من جانب معارضي إسرائيل إن هناك تاريخاً طويلاً من التسامح والتعددية للقدس يجب إبرازه وإدراجه في النقاش الذي تسيطر عليه إسرائيل حالياً .. كما أن هناك مجموعات قوية من المصالح غير اليهودي ة، وأيضا على أقل تقدير خريطة أقرب إلى الحقيقة يمكن رسمها وتوضيحها وتعبئة المساندين حولها وعلينا إلغاء وتبديد هذا الصمت إزاء الإدعاءات الإسرائيلية .. وهذا يعني بوضوح تقديم منظور فلسطيني للسلام أكثر مبدئية ووضوحاً والقيام في الوقت نفسه بانتقاد دقيق من منظور فلسطيني لأصل مفاوضات السلام ومجراها ولا يبدو لي أن هذا مطلب دونكيشوتي أو استراتيجية غير واقعية لأن هناك إستعداد اً كبيراً لكنه مضمر إلى حدما لدى الأوروبيين والأمريكيين وبعض اليهود للاستماع إلى الطريق البديل الأكثر إنسانية الذي يمكن أن يوصل إلى السلام الحقيقي .

الشيخ: عكرمة صبرى

إمام ومفتى القدس

الانتهاكات مستمرة

القدس الآن .. مدينة تحت الإحتلال، وعلي المسلمين في شتي بقاع الأرض أن يتآزروا لتحريرها وإعادتها إلى الحياض الإسلامي .. ولا يشترط في الجهاد فقط أن ينحصر في الجهاد الحربي، ولكن بأية وسيلة يمكن استرداد القدس، فمثلاً يقولون أنه لا يجوز احتلال أرض الغير بالقوة .. إن تم تطبيق ذلك وأعيدت القدس لأهلها فخير ونعمة .. وأعتقد أنه يجب على الأمة الإسلامية أن تعبئ كل طاقاتها للحفاظ على مقدساتها وأوطانها ورعاياها وشعوبها ..

إن قضية القدس لابد وأن تمثل مكانة بارزة في جدول الاهتمام العربي والإسلامي، نتيجة الخطوات الاستفزازية التي أقدمت عليها إسرائيل في الفترة الأخيرة ومصادرة إسرائيل المستمرة لأراضي القدس وأن إسرائيل مستمرة في إنتهاكاتها الصارخة لحرمة القدس رغم التصريحات التي تقول فيها بأنها لن تصادر

ولكن السياسة مستمرة في تهويد المدينة .. إن ما يتم الآن هو مخططات إسرائيلية هـدفها امـتلاك المزيـد مـن الأراضـي العربيـة، وإقامـة المسـتوطنات عليهـا وتوسـيع رقعتها بهدف تهويد القدس.

إن أهـالي وسـكان القـدس ممنوعـون مـن الوصـول إلى المدينـة ومحرومـون مـن الحصول على تراخيص بناء بها بسبب سيطرة اليهود على المجلس البلدي لها .. كمـا أن الضـرائب الباهظـة مازالـت تضـاعف علـى سـكان المدينـة .. وتسـتهدف تصعيب الحياة بها واللجوء للهجرة كبديل لعدم القدرة على المعيشة بالمدينة .. كمـا أن نسـبة خـدمات بلديـة القـدس للمـواطن العـادي لا تتجـاوز ٤% مـن مجموع مـا تحصله من ضرائب بالإضافة إلى فرض قيود على تحركات الشباب وأعمـالهم حتى أصبح دخـل العائلـة الواحـدة في القـدس تحت خـط الصـفر، إن إسـرائيل تخطـط لحصـر مشـكلة الفلسـطينيين والإسـرائيليين في المسـجد الاقصـى حتى تنفـرد بالقـدس، وتهـيمن عليهـا، وأنهـا تقـيم المسـتوطنات لخنقهـا وعزلهـا عـن سـائر الضـفة الغربيـة وتغيـير الواقـع الـديمغرافي للسـكان، وغـرض إسـرائيل هـو أن يصبح عدد الإسرائيليين أكبر من عدد السكان العرب .

إن هنـاك مشـروعاً إسـرائيلياً لإقامـة هيكـل يهـودي وهـذا الهيكـل هـو بنـاء لشكل هيكل في المتحف الإسرائيلي .. ويشملونه بكل رعاية وعطف .. وهناك تخطيط ضخم لوضعه في مكان المسجد الاقصى المبارك وقبة الصخرة المشرفة وأن هـذا الهيكـل وفقـاً لخريطـة إسـرائيل المعـدة في هـذا الشـأن توضـح أن هـذا الهيكـل سيوضع فوق هذه المساحة التي تبلغ ١٤٣ ألف متر مربع وأنه سيوضع بعد أن يزال من فوقها المسجد الاقصى وقبة الصخرة المشرفة مع بقاء السور الخارجي –

إن القدس تمر بأخطر مراحلها وإن لم تتكاتف الأيادي العربية والإسلامية فلن نجد القدس ولن نجد فلسطين، ولابد من أن يقوي الحس العربي والإسلامي في هذه الفترة وأن يزداد الإحساس بالموقف والخطر وأن يعيش الجميع مأساتنا فنحن معذبون على أرضنا وهناك تكتم إعلامي على ما يحدث ضدنا .. نحن نشعر بالظلم العالمي تجاهنا والآلام والأحزان تعيش معنا .. وإن لم تكن هناك وقفة فلن نصمد أمام العالم ومخططاته وإزدواجياته في القرارات وتنفيذها فما ينفذ على العراق لا ينفذ ولا ينظر اليه في القدس .. وعشنا على الأمل .. والأمل يموت كل يوم .. والأيام تجري والإنتهاكات في تزايد والإدارة الأمريكية تنحاز بالكامل ضدنا بل ضد الجميع من أجل عيون إسرائيل - لا أدري ما أهمية إسرائيل إذا قيست بالعرب بالنسبة لأمريكا - ما الخطر الذي تخشاه الولايات المتحدة من العرب لدرجة أنها تضحي بهم جميعاً من أجل إسرائيل ؟! وهل هذا إيمان من إسرائيل بأن العرب لن تقوم لهم قائمة إلى الأبد، فأقول لإسرائيل وأمريكا .. العرب آتون والعرب صامدون .. ولن يموت العرب ولن تموت فلسطين ولن ينتهي القدس وسيظل القدس إلى قيام الساعة .

إن عشرات المؤسسات الإسرائيلية تضع مشروع إقامة الهيكل اليهودي هدفاً إستراتيجاً لها ومنها حركة " مجلس أمناء جيل الهيكل " التي كانت وراء مجزرة الحرم الإبراهيمي في عام ١٩٩٠ والتي شهد عليها العالم وأغلق ملفاتها بمنتهي السرعة في الوقت الذي فيه ملفات تفتح من جديد بعد مرور حوالي ٦٠ سنة، وكانت المجزرة قد وقعت عندما أرادت هذه الحركة إدخال حجر أساس لبناء الهيكل إلى ساحة المسجد الاقصى ، واعترض المصلون المسلمون فما كان

من المتطرفين أن أطلقوا الرصاص في أبشع كارثة تحدث داخل مسجد للمسلمين .. والحركات الصهيونية تسعي إلى خلق أمر واقع في ساحة المسجد الاقصى .. مع العلم أن تكاليف إقامة الهيكل ستتكلف ملايين الدولارات، ولكن الحركات الصهيونية في العالم لن تتواني عن التبرع لإتمام المشروع .. وأن هذا المشروع كفيل بتدمير عملية السلام من أساسها .. قضية الصراع العربي الإسرائيلي هى قضية فلسطين .. وجوهر قضية فلسطين القدس .. ولابد للعرب أن يرسخوا المواقف ويعودوا للتنسيق العربي، فقضية القدس ليست قضية فلسطينية فقط .. بل قضية عربية إسلامية .. وهى قضية دولية .. والعقلية الإسرائيلية لم تتغير ولن تتغير، ولابد من استمرار الكفاح الوطني .

القدس أمانة في عنق المسلمين جميعاً .. وأهل القدس هم حراس لها .. وعلي جميع المسلمين في بقاع الأرض تقع مسئولية حمايتها .

د. مفيد شهاب

أستاذ القانون الدولى
جامعة القاهرة

القانون الدولي وقضية القدس

يتعين بالتأكيد منذ البداية ضرورة عدم إغفال الجانب القانوني في أبعاد هذه القضية التاريخية أو الدينية أو السياسية، التي تعتبر الحجر الأساسي في قضية الصراع العربي – الإسرائيلي، ولا أغالي إذا قلت بأنني أعتقد، بأنه لا سلام ولا أمن في المنطقة.

إلا بحل عادل يلتزم بحكم القانون ووضع الحقوق، في قضية المدينة المقدسة " القدس الشريف " منارة الأديان، وإذا كنت قد سعدت بعدم إغفال الجانب القانوني، فذلك لأن هناك في عالمنا العربي من يعتبر المنهج القانوني درباً من العبث، طالما أن أحكام القانون الدولي لا تلقي الاحترام من كل الدول، ولا حتى من المؤسسات الدولية المنوط بها أعمال القواعد القانونية، ولعل قرارات مجلس الأمن، التي تكيل بمكيال أو أكثر، مجرد نموذج على عدم احترام أحكام القانون من المؤسسات المنوط بها إعمال القانون واحترامه.

وعلي عكس هؤلاء فإنني ضمن المجموعة التي تؤمن بحتمية الاستناد للمنهج القانوني، خصوصاً وأننا أصحاب حق، ولا نطالب إلا بإحترام هذه الحقوق، هذه الحقوق المؤكدة بالقوانين والقرارات الدولية،وليس غريباً أن نري المعتدي يتمسح بهذا المنهج القانوني، لتبرير عدوانه وتسريده، ولا يري البعض منا جدوي في التمسك بهذا المنهج القانوني، هذا المنهج الذي يدعم، بلا شك، ما نطالب به من حقوق. وما ندافع عنه من مصالح مشروعة .

ونقول على سبيل المثال .. حرب ١٩٥٦، العدوان الإسرائيلي، والذي بررته إسرائيل بأنه دفاع شرعي مسموح به في القانون الدولي، حرب ١٩٦٧، بررت إسرائيل عدوانها بأنه دفاع شرعي أما العمل العسكري السوري المصري عام ١٩٧٣ فقد قالت عنه إسرائيل إنه في حكم القانون الدولي، عدوان . لقد وصلت إسرائيل إلى حد الإستناد إلى نظرية الدفاع الشرعي في تبرير قتل الأجنة في بطون الأمهات الفلسطينيات، وإذا كنت أؤكد على أهمية المنهج القانوني في مواجهة المعتدي، وفي مواجهة المجتمع الدولي، فلست أدعو بذلك أبداً، إلى التخاذل عن دعم كل مصادر قوتنا العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية. والتكنولوجية اكتفاء بأننا أصحاب حق، أو أن القانون في صفنا . لكنني أزعم أن المنهج القانوني السليم، لو صح استخدامه، سيلسياً وإعلاميا، لكسبنا نحن العوب وضعاً أفضل في المجتمع الدولي، ومع المؤسسات الدولية من أجل إسترجاع الحقوق .

والتزاما مني بالأسلوب العلمي في معالجة هذا الموضوع، وإحتراما للبرنامج المعد أجد لزاما على أن أقصر حديثي على قضية القدس دون القضايا الاخرى

المرتبطة بها، أو القضايا التي أدت إلى نشأة أزمة القدس : القدس الفلسطينية، والصراع العربي – الإسرائيلي بصفة عامة، وأقتصر، أيضا في حديثي على ما هو قانوني فقط، دون ما هو ديني أو تاريخي أو سياسي، فقد تحدث في هذه الجوانب من هم أكثر مني خبرة ودراية ولذا أتجاوز عن كل هذه الجوانب وأدخل مباشرة في الناحية القانونية .

أولا : وضع مدينة القدس في ظل قرار تقسيم فلسطين :

بموجب قرار تقسيم فلسطين، الصادر من الجمعية العامة للأمم المتحدة، بتاريخ ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، وقرارين لاحقين، صدرا في ١١ ديسمبر ١٩٤٨، وفي ديسمبر ١٩٤٩، تم وضع نظام للإدارة الدولية لمدينة القدس نظراً لاحتوائها على الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود، ويشمل النظام الدولي بلدية القدس، أي مدينة القدس بأكملها، بما فيها من أحياء قديمة وحديثة والقري المحيطة بها والتي تشكل معها وحدة واحدة، وتم تحديد مشتملاتها في خريطة ألحقت بقرار التقسيم الصادر في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ .. وقد تقرر في هذا التقسيم أن القدس تحت السيادة الجماعية للأمم المتحدة ويكون مجلس الوصاية مسئولاً عن إدارتها، ويعين مجلس الأمن حاكماً للمدينة المقدسة، يعاونه مجلس تشريعي يتكون من أربعين عضواً ، وتوضع في حالة حياد دائم، ويكون لسكانها رعويه خاصة .

لكن النظام الدولي للقدس لم ير الحياة، وبيان ذلك أن مجلس الوصاية قد كلف بوضع مشروع لهذا النظام تمهيداً لعقد اتفاق دولي بشأنه، لكن هذا المشروع تعذر إقراره بواسطة الجمعية العامة نتيجة لمعارضة كل من البلاد العربية

وإسرائيل لتدويل القدس فبقي التدويل معطلاً .. وظل القسم القديم من القدس تحت سيطرة الأردن، وهو الجزء الذي يحتوي على الأماكن المقدسة، أما القسم الحديث فقد إحتلته إسرائيل منذ نشأتها سنة ١٩٤٨ . وفي ٧ يونيو ١٩٦٧، إحتلت إسرائيل مدينة القدس بأكملها عقب عدوانها على مصر في ٥ يونيو ١٩٦٧، ومنذ عام ١٩٦٧ وحتى الآن، هناك إنتهاكات إسرائيلية لايمكن حصرها للحقوق المدنية والمعتقدات في مدينة القدس .

ثانيا : الانتهاكات الإسرائيلية للحقوق الدينية والمعتقدات في مدينة القدس:

لم تكتف سلطات الإحتلال الإسرائيلي، في الأراضي العربية المحتلة بانتهاك حقوق الإنسان، بل امتدت يدها للعبث بالمقدسات، وخاصة في مدينة القدس، حيث عملت على إجراء الحفريات حول الحرم الشريف في القدس، وإغتصاب وهدم وإزالة العقارات والمعاهد والمقدسات الإسلامية بها وتشريد سكانها، مستهدفة إزالة الحرم الشريف ومسجد الصخرة والمسجد الاقصى ، وإزالة ما حولها وما يجاورها من ثرات إسلامي ومسيحي وحضاري، وإستبدال الجميع بهيكل جديد لليهودية، وعملت السلطات الإسرائيلية، منذ احتلال القدس، على مواصلة إجراءات الحفر حتى وصلت أسوار الحرم الشريف من الجهتين الجنوبية والغربية، وقد حدد أحد علماء الآثار الإسرائيليين طول الحفريات بـ ٤٨٥ متراً، تم حفر ٢٣٠ متراً منها حتى ١٤ أكتوبر ١٩٧٠ .. وقد تجلت قمة الأعمال الإجرامية للسلطات الإسرائيلية بقيامها بإحراق المسجد الاقصى ، في ٢١ أغسطس عام ١٩٦٩، في محاولة منها لتهويد القدس العربية

والقضاء على أهم معالمها الإسلامية، كل ذلك من أجل بناء هيكل اليهودية المزعوم مكان المسجد الاقصى .

إن قواعد القانون الدولي تؤكد على حماية الأماكن المقدسة والأماكن الأثرية، وذلك لأنها تعتبر تراثاً إنسانيا وحضاريا لا يقدر بثمن، كما ألزمت سلطات الاحتلال بإحترام هذه الأماكن وعدم المساس بها، والعمل على إحترام حرية ممارسة الشعائر الدينية، وحذرت من التدخل في هذه الشئون أوالعمل على تعطيلها، وعلي سبيل المثال، اتفاقية لاهاي الرابعة لسنة ١٩٠٧ في نص المادة ٥٦، من أن " أملاك البلديات والمؤسسات الدينية والتعليمية، حتى ولو كانت للدولة، يجب أن تعامل كالأملاك الخاصة، وأن الإستيلاء، أو التدمير أو الإضرار المتعمد لهذه المؤسسات أو المباني التاريخية أو التحف الفنية محظور ويجب أن تتخذ بحق المخالفين لنصوص هذه الإتفاقية كل الإجراءات القضائية " .. كما جرى النص أيضا، على حرية ممارسة الشعائر الدينية، وإلتزام السلطة المحتلة بوجوب احترام ذلك، في نص المادة ٢٧ من إتفاقية جنيف الرابعة لسنة ١٩٤٩ الخاصة بحماية المدنيين، والتي أكدت على حق السكان في المناطق المحتلة في ممارسة شعائرهم الدينية حسب عاداتهم وتقاليدهم .

وقد أكدت محكمة " نورمبرج " على أن تعرض سلطات الإحتلال للأماكن الدينية أو المساس بها، وكذلك إعاقة أو تعطيل ممارسة الشعائر الدينية في الأراضي المحتلة يشكل جريمة من جرائم الحرب، تدينها قوانين وأعراف الحرب والإتفاقيات الدولية والقوانين الوطنية والمبادئ العامة المعترف بها من قبل الدول المتمدينة، وقد أصدرت محكمة "نورمبرج "أحكاماً عديدة بإدانة الأشخاص

الذين قاموا بإغلاق الأديرة وسلب أموال الكنائس والمعابد وإنتهاك حرمتها، وتدخلوا في ممارسة السكان المدنيين لعقائدهم الدينية واضطهدوا القساوسة ورجال الدين .

ثالثا:إسرائيل وإجراءات الإستيلاء والمصادرة للممتلكات العربية في القدس:

نتيجة للغزو الإسرائيلي للدول العربية، في ٥ يونيو ١٩٦٧والإستيلاء على الضفة الغربية، أقدمت إسرائيل على ضم مدينة القدس واعتبرتها عاصمة موحدة لإسرائيل، أقدمت إسرائيل على هذه الإجراءات متحدية بذلك المجتمع الدولي بأسره ومنتهكة لمبادئ القانون الدولي التي أخذت جميع الدول على عاتقها إحترامها والإلتزام بها، ومن ضمنها إسرائيل نفسها، ولجوء إسرائيل إلى هذه الإجراءات، الهدف منه تثبيت أقدامها تدريجيا في الأراضي العربية المحتلة، متبعة في ذلك سياسة إقامة المستوطنات الإسرائيلية لتكون في المستقبل بمثابة أمر واقع تفرضه إسرائيل على الدول العربية كما فعلت سنة ١٩٤٨، وقامت إسرائيل في أعقاب حرب يونيه سنة ١٩٦٧ بحركة استيطان هائلة وضم أراضٍ واسعة في الضفة الغربية تنفيذاً لمخططها التوسعي .

ففي ٢٨ يوليو ١٩٦٧، بعد العدوان بشهر ونصف، أصدرت إسرائيل أمراً أطلقت عليه اسم " أمر القانون والنظام رقم ١ لسنة ١٩٦٧ " أعلنت فيه أن " مساحة أرض إسرائيل المشمولة في الجدول الملحق بالأمر، خاضعة لمرسوم قانون إدارة الدولة الإسرائيلية "هذا الجدول يتضمن تنظيماً لمدينه القدس

بأكملها حتى الجزء الذي كان يقع تحت الحكم الأردني العربي، والذي كان يقطنه آنذاك حوالي مائه ألف نسمة من السكان العرب، ودعا بن جوريون، في خطاب له أمام الكنيست الإسرائيلي، إلى الإسراع في عملية توطين اليهود في القدس القديمة وغيرها من الأماكن المقدسة وقال في هذا الصدد، إن توطين ٢٠,٠٠٠ أسرة يهودية في المنطقة المحيطة بالقدس سينهي إلى الأبد كل حديث حول فكرة تدويل المدينة المقدسة .. وقد قامت إسرائيل بإصدار الأمر رقم (١٤٤٣) المتعلق بمصادرة الأراضي والمباني داخل أسوار القدس القديمة، حيث تمتد المساحة المصادرة بين السور الجنوبي الغربي للحرم القدسي الشريف والحي الأرمني داخل أسوار المدينة، وتقدر مساحتها بحوالي ١١٦ دونما، تشمل ٦٠٠ منزل عربي وخمسة مساجد و٤ مدارس وسوقين ومركزين إسلاميين، وأصبح ساكنوها والبالغ عددهم ٧٠,٠٠٠ نسمة دون مأوي .. كما صدر إعلان لوزير المالية الإسرائيلي في ٣٠ أغسطس١٩٧٠ بمصادرة أرضٍ اخرى في القدس تقع في منطقة النبي يعقوب، وتبلغ مساحتها ٤٧٠ دونما، وأراضٍ عربية اخرى تقع شمال غربي القدس تبلغ مساحتها ٤٨٤٠ دونما، وتقدر مساحة الأراضي العربية المصادرة بموجب هذا القرار بحوالي ١١٦٨٠ دونما في منطقة القدس وحدها ..

وقد وصل عدد اليهود الذين أصبحوا يقطنون في القدس العربية حتى نهاية ١٩٦٩، ثلاثة آلاف نسمة، وخططت إسرائيل لكي يصل عددهم في نهاية ١٩٧٣، في القدس العربية إلى ٤٢,٠٠٠ نسمة وإستمرت الزيادة حتى وصلت إلى الأعداد التي أوضحناها منذ قليل .. وقد تعرضت مدينة القدس ووضعيتها،

في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط للهجوم مرتين، منذ أن بدأت مسيرة مدريد أخيراً .

الأولي : من جانب إسرائيل التي أعلنت عن مصادرة ٥٣ هتكارا من أراضي القدس الشرقية المحتلة، لإنشاء حي يهودي جديد يضم ٢٥٠٠ وحدة سكنية كمرحلة أولي من خطة تهدف إلى مصادرة ٥٠٠ هتكار إضافية .

الثانية : من جانب الكونجرس الأمريكي، عندما أعلن " روبرت دول " زعيم الأغلبية الجمهورية في مجلس الشيوخ الأمريكي والمرشح للرئاسة الأمريكية القادمة، عن تقديم مشروع لنقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .

وسواء كان هذا الهجوم أو ذلك هو الأشرس، فإن كليهما يصيب عملية السلام في مقتل، وينسف جهوداً كثيرة سابقة لإقرار الاستقرار أوالتعاون في المنطقة ويضع البذور للصراع بل للحرب، وبإختصار شديد، فإن كلا من إسرائيل، إذا ما إستمرت في سياستها الحالية لفرض الأمر الواقع الإستيطاني في القدس الشرقية .. والولايات المتحدة، إذا إستمرت في إتخاذ قرار بنقل السفارة، فسوف ينسفان عملية السلام بأسرها وتعود في تقديري الشخصي، أوضاع المنطقة إلى ما كانت عليه، من حدة وتوتر في أكثر فترات الصراع العربي – الإسرائيلي إحتداما .

رابعاً : موقف الأمم المتحدة من قضية القدس ومبدأ عدم الاعتراف بالأوضاع الإقليمية غير المشروعة :

يقر ميثاق الأمم المتحدة حق الشعوب في تقرير مصيرها وإحترام حقوق الإنسان وعدم التفرقة العنصرية، ومن ناحية اخرى تنص المادة ٤/٢، وأيضا

يؤكد الميثاق على أن يمتنع أعضاء الهيئة جميعاً في علاقاتهم الدولية عن التهديد بإستعمال القوة أو إستخدامها ضد سلامة الأراضي أو الإستقلال السياسي .. وبناء عليه، لو أن دولة ما إنتهكت حكم المادة ٤/٢ من الميثاق، والتي تفرض على كافة الدول الامتناع عن إستخدام القوة، فإن كافة الدول تلتزم بموجب الميثاق، بأن تتخذ من التدابير الجماعية، ما يحول دون المساس بالسيادة الإقليمية والإستقلال السياسي للدولة المعنية وأن تقمع العدوان عليها. هذا الإلتزام " الإيجابي " على كل دول العالم يفترض بداهة أن يقترن بالإلتزام " السلبي "، مفادة عدم الاعتراف بأي تصرف يأتي مخالفاً للمبادئ المذكورة، ولا بأي أثر من الآثار الناجمة عنه والقول بغير هذا يجعل من هذه التدابير غير ذات معنى.

وقد شهدت الأجهزة المختلفة للأمم المتحدة – بعد إنشائها – محاولات لتقنين الالتزام بفكرة عدم الاعتراف بالأوضاع الاقليمية غير المشروعة . من ذلك مثلاً : المشروع الذي تقدمت به لجنة القانون الدولي سنة ١٩٤٩، والذي يقرر أن تلتزم كل دولة بالإمتناع عن الإعتراف بأي مكاسب إقليمية تحصل عليها دولة اخرى إنتهاكاً لأحكام المادة التاسعة ويراعي أن المادة التاسعة قد بينت القواعد العامة للقانون الدولي التي تضمن السلامة الإقليمية لكافة الدول .. وقد إعتنقت الجمعية العامة هذا المبدأ، مبدأ عدم الإعتراف وأكدته في الإعلان الصادر عنها، والمتعلق بالعلاقات الدولية والتعاون بين الدول الصادر في ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٧٠، والذي جاء فيه : " أن أية مكاسب إقليمية تم الحصول عليها عن طريق استخدام القوة أو التهديد باستخدامها لايمكن الإعتراف بشرعيتها " .. وعليه طبقاً لهذا المبدأ المسلم به فقهياً، وفي أجهزة الأمم المتحدة،

حول مشكلة الشرق الأوسط، وكما نعلم أنه في أعقاب العدوان الإسرائيلي على كل من مصر وسوريا والأردن، أصدر مجلس الأمن في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧، قراره الشهير تحت رقم ٢٤٢، مقرراً في ديباجته " عدم قبول الإستيلاء على أقاليم الغير عن طريق الحرب " وأن إرساء السلام العادل في الشرق الأوسط يقتضي " سحب القوات الإسرائيلية من الأقاليم المحتلة إبان النزاع الأخير " .. وفي أعقاب توصيات عديدة متعلقة بهذا الهدف، صدر قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٤ يوليو ١٩٦٧ يدين كل الإجراءات التي قامت بها إسرائيل لتغيير الوضع القانوني للقدس .

قد يقال أن الجمعية تصدر توصيات غيز ملزمة، وأن ما هو ملزم يصدر عن مجلس الأمن، إذن ننتقل إلى مجلس الأم ، وهنا أذكر بعض القرارات : ١- القرار رقم ٢٥٠ لعام ١٩٦٨ : والذي يدعو إسرائيل إلى الإمتناع عن إقامة العرض العسكري في القدس، بتاريخ الثاني من مايو ١٩٦٨ وطلب من الأمين العام للأمم المتحدة تقديم تقرير للمجلس في هذا الشأن .

٢- القرار رقم ٢٥١لعام ١٩٦٨ : وفيه يبدي مجلس الأمن أسفه لإقامة العرض العسكري الإسرائيلي في القدس في الثاني من مايو ١٩٦٨.

٣- القرا ر رقم ٢٥٣ لعام ١٩٦٨ : والذي يعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل، بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك، التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس، إجراءات باطلة، ولايمكنها تغيير الوضع فيها، ودعا القرار إسرائيل بإلحاح إلى أن تبطل هذه الإجراءات، وأن تمتنع عن القيام بأي عمل آخر من شأنه تغيير الوضع في القدس .

٤- القرار رقم ٢٦٧ لعام ١٩٦٩ : يعبر مجلس الأمن عن أسفه لفشل إسرائيل في إظهار الإحترام لقرارات مجلس الأمن والجمعية العامة المتعلقة بالقدس، ويؤكد القرار على أن جميع الإجراءات التشريعية والإدارية التي اتخذتها إسرائيل ومن بينها مصادرة الأراضي والممتلكات، أعمال باطلة ويدعو إسرائيل بإلحاح إلى الإعتراف بأن أي تدمير أو تدنيس للأماكن المقدسة أوالمباني أو المواقع الدينية أو أي تشجيع على ذلك، يهدد بشدة الأمن والسلم الدوليين، كما يقرر أن العمل المقيت لتدنيس المسجد الاقصى يؤكد الحاجة الملحة لإمتناع إسرائيل، عن خرق القرارات الصادرة عن المجلس، كما طالبها بإبطال جميع الإجراءات والأعمال التي اتخذتها لتغيير وضع القدس، أضف إلى ذلك أن المجلس دعا إسرائيل إلى التقيد بدقة بنصوص اتفاقية جينيف الرابعة، وبالقانون الدولي، الذي ينظم سلطات دولة الاحتلال، هذه السلطات التي تقتصر على حق الإدارة اليومية للإقليم المحتل دون القيام بأي عمل يؤدي إلى التغيير الجغرافي أو القانوني أو الإداري للإقليم المحتل ويدعو هذا القرار إلى الامتناع عن إعاقة المجلس الإسلامي الأعلي للقدس عن القيام بمهماته، بما في ذلك أي تعاون يطلبه المجلس .

٥- القرار رقم ٢٩٨ لعام ١٩٧١ : والذي يعتبر، بعبارات واضحة للغاية، أن جميع الأعمال الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل لتغيير وضع مدينة القدس، ومن ضمنها مصادرة الأراضي والممتلكات ونقل السكان والتشريع الهادف إلى ضم القطاع المحتل، لاغية تماماً، ولا يمكن أن تغير ذلك الوضع، ودعا المجلس الإسرائيلي بإلحاح إلى إلغاء جميع الاجراءات والأعمال السابقة وإلى عدم اتخاذ خطوات اخرى في القطاع المحتل من القدس، الذي قد يفهم منه تغيير

وضع المدينة، أو قد يجحف بالسكان، وبمصالح المجموعة الدولية والسلام العادل والدائم .

٦- القرار رقم ٤٦٥ لعام ١٩٨٠ : والذي يدعو إلى إزالة المستوطنات الإسرائيلية القائمة في الأراضي المحتلة، وهذا القرار لم يذكر القدس تحديدا، وإنما قال الأراضي المحتلة، لكن كل قرارات مجلس الأمن، بلا استثناء، صريحة بالنص على أن المقصود بالأراضي المحتلة بما فيها القدس الشرقية، ومن هنا لا يمكن لإسرائيل أن تتعلل بأي حال بأن الأراضي المحتلة لفظ عام لا ينطبق على القدس الشرقية، إن القدس الشرقية بحكم القانون وبحكم قرارات مجلس الأمن جزء من الأراضي المحتلة، تنطبق عليها نفس الأحكام .

٧- القرار رقم ٤٧٨ لعام ١٩٨٠ : والذي دعا جميع الدول إلى عدم نقل بعثاتها الدبلوماسية إلى مدينة القدس، مع اعتبار جميع التدابير والإجراءات التشريعية والاستيطانية الرامية إلى تغيير الوضع القانوني للمدينة لاغية ومخالفة للقانون الدولي.

٨- القرار رقم ٦٧٢لعام ١٩٩٠ : والذي أدان إسرائيل لإرتكابها أعمال عنف ضد الفلسطينيين، وذلك بمناسبة المذبحة التي شهدتها ساحة المسجد الاقصى في أكتوبر عام ١٩٩٠، وطالب إسرائيل بصفتها قوة إحتلال، بالوفاء بمسئولياتها القانونية المقررة بموجب إتفاقية جنيف الرابعة .

٩ – القرار رقم ٦٧٣ لعام ١٩٩٠: وجاء رداً على رفض إسرائيل للقرار رقم ٦٧٢ أكد فيه مجلس الأمن إصراره على ضرورة إمتثال إسرائيل لقرار المجلس السابق، وأن تسمح لبعثة تقصي الحقائق بأداء مهمتها المقررة بموجب القرار السابق صدوره عن المجلس .

١٠ – القرار رقم ٩٠٤ لعام ١٩٩٤ : وقد أدان بقوة المذبحة التي ارتكبت في مدينة الخليل، وطلب من إسرائيل اتخاذ إجراءات من بينها مصادرة الأسلحة، بهدف منع أعمال العنف غيرالمشروعة من جانب المستوطنين الإسرائيليين، وفي الفقرة التمهيدية لهذا القرار يصف القدس من جديد بأنها محتلة، وفي فقرة اخرى يصف الأراضي التي احتلتها إسرائيل في حرب ١٩٦٧، بأنها أراضي فلسطينية محتلة .

يستفاد مما سبق، أن الأمم المتحدة إذ تقرر عدم شرعية التغيرات الإقليمية الناجمة عن العدوان الإسرائيلي على الدول الثلاث، وتقرر بطلان التصرفات التي اتخذتها إسرائيل بمناسبة احتلالها لأقاليم هذه الدول، فإنها تعتنق بذلك نظرية بطلان التصرفات التي تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولي، وتسعى الأمم المتحدة، من خلال الجمعية العامة أو مجلس الأمن، إلى تأكيد مبدأ الشرعية القائم على فكرة سيادة القانون الدولي، لكي يحل محل مبدأ آخر هو مبدأ الفاعلية، القائم على أن الأمر الواقع يصحح التصرفات الباطلة، والفقه والقضاء الدوليين يلتزمان بعدم الاعتراف بأي أوضاع إقليمية غير مشروعة إستناداً إلى مبدأ مسلم به في القانون، وهو أن الخطأ لا يولد الحق، على إعتبار أن ذلك المبدأ يعد من المبادئ العامة في القانون الدولي، فإذا كان نوع الخطأ المرتكب، بسبب التغير الإقليمي أو بمناسبته، تصبح أمام إنتهاك احدى القواعد القانونية الدولية المتعلقة بالنظام الدولي العام، وهى ليست قاعدة عادية، وإنما هى قاعدة من القواعد الآمرة التي تشكل صلب النظام الدولي العام، وهى قواعد نصت عليها المواد العديدة في ميثاق الأمم المتحدة .

أود أن أشير إلى أن إتفاقية أوسلو في سبتمبر ١٩٩٣، تتضمن نصاً صريحاً، إذ تتحدث في المادة الخامسة عن إجراءات التفاوض، والفترة الإنتقالية، والإنتخابات وغير ذلك، ونحن نقول إنه من المفهوم أن هذه المفاوضات سوف تغطي القضايا المتبقية بما فيها القدس، اللاجئين، المستوطنات، الترتيبات الأمنية، الحدود، العلاقات والتعاون مع جيرانها، إلى آخر هذا الكلام، الأمر الذي يعني، أنه وفقاً لأحكام اتفاقية أوسلو، بين الفلسطينيين وإسرائيل، فإن قضية القدس مؤجلة إلى مرحلة لاحقة من التفاوض، وهذا يعني، من وجهة نظر القانون، بأن هناك تعهداً من إسرائيل، ينتج أثراً مانعاً نحو إسرائيل، أن تقوم بأي إجراء منفرد، منذ لحظة توقيع هذا الإتفاق، ويطلق على هذا الأثر في القانون " الأثر الواقف " أي أن هناك فترة لتجميد وضع القدس على ما كانت عليه منذ لحظة توقيع الاتفاق حتى الانتهاء إلى الوضع النهائي المتفق عليه في التفاوض، إذن فأي تغير في هذا الوضع، بالمصادرة أو غيرها، يعتبر، فضلاً عن مخالفته للقرارات الشرعية الدولية مخالفاً أيضاً لالتزام إسرائيل نفسها وفقاً لهذا الإتفاق، " إتفاق أوسلو" وهو في كل الأحوال باطل، ولا يترتب عليه أي أثر قانوني، بأي حال من الأحوال، وللأسف فإن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم الفيتو الأمريكي في القرار الخاص بالقدس .

الفيتو الأمريكي في القرار الخاص بالقدس :

جاء استخدام الولايات المتحدة الأمريكية للفيتو ضد مشروع القرار الذي كان مقدماً لمجلس الأمن لمطالبة إسرائيل بإلغاء مصادرة الأراضي في القدس الشرقية مخيباً للآمال ومستفزاً لمشاعر العرب والمسلمين، فضلا عن مخالفته

الصريحة لإرادة المجتمع الدولي ومخالفته لأحكام القانون الدولي .. ثم يأتي تعقيب " مادلين أولبرايت " مندوبة أمريكا سابقا في الأمم المتحدة على التصويت، ليضاعف من هذا الإستفزاز، ويؤكد مدي الإبتزاز الإسرائيلي لبلادها، حين تقول، إن التصويت كان على مبدأ يتمثل في أن الطريق الوحيد لتحقيق سلام عادل ودائم وشامل في الشرق الأوسط هو إجراء محادثات مباشرة بين الأطراف المعنية، وأن مجلس الأمن ليس هو المكان المناسب لذلك، ولقد كان وزير خارجيتنا على حق عندما تساءل إذا لم يكن مجلس الأمن هو المكان المناسب فأين المكان المناسب إذن ؟!

ولعله من المناسب هنا أن نفند هذه المبررات التي جاءت بها مندوبة أمريكا، وسنقتصر هنا على النواحي القانونية :

١- إن مجلس الأمن هو المحفل الدولي الأساسي لعرض مصادرة إسرائيل لأراضي القدس الشرقية، لأنه هو الجهاز المختص بالأمور التي تتعلق بحفظ السلم والأمن الدوليين، وفقا للفصل السادس والفصل السابع من الميثاق، وأن ما حدث يهدد السلم والأمن الدوليين، وذلك هو الاختصاص الأول والأساسي لمجلس الأمن .

٢- إن الولايات المتحدة الأمريكية،. التي اتخذت هذا الفتيو، حتى لا يصدر القرار، قد شاركت في إصدار العديد من القرارات المماثلة التي تبناها مجلس الأمن بشأن قضية القدس، لقد أقرت الولايات المتحدة في كل القرارات السابقة، بأن القدس الشرقية جزء من الأراضي المحتلة وأي تغير فيها يخالف القانون الدولي، ويخالف اتفاقية جنيف، وأنها لا توافق أبداً على انتقال البعثات الدولية إليها .

٣- إن الأمر الذي كان مطروحاً على المجلس يتعلق بانتهاك قاعدة من قواعد القانون الدولي الآمرة المتعلقة بالمصلحة العليا والأساسية للمجتمع الدولي، مما لا

يجوز مخالفتها، أو الإتفاق على ما يخالف أحكامها وكان طبيعياً أمام قاعدة آمرة أن يتصدي مجلس الأمن لاتخاذ قرار بشأنها .

٤- إن الموضوع يتعلق بانتهاك إسرائيل للعديد من قرارات مجلس الأمن السابقة والمتعلقة بموضوع القدس، والتي تقر في مجموعها ببطلان جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني لمدينة القدس .

٥- إن مصادرة إسرائيل للأراضي الفلسطينية في القدس الشرقية - التي هى جزء من الأراضي المحتلة - هو إنتهاك صريح لاتفاقية چنيف الرابعة، الصادرة في ١٣ أغسطس عام ١٩٤٩، والتي تنظم بدقة صلاحيات سلطة الاحتلال العسكري وتقصرها على الإدارة اليومية، دون الإخلال بالوضع الجغرافي والسكاني للأراضي المحتلة .. لقد حرصت على الإلتزام بالجانب القانوني وحده والتزاماً بما قلته في البداية، وذلك أنني مازالت أومن بأن الإلتزام بأحكام القانون والتمسك بها والدفاع عنها أمر يساعدنا كثيراً على استرجاع الحقوق، طالما أننا لا نكتفي، بالقانون فقط، ولا نكتفي بالحديث فقط، ولا نكتفي بالندوات فقط، وأن نستعد عسكرياً وسياسياً وإقتصادياً وتكنولوچيا وعلمياً .

د. عبد الله الأشعل

خبير القانون الدولى
جامعة القاهرة



منهج القانون الدولي

إن إثبات الحق بالمنطق القانوني المعترف به دولياً، هو المنطق الـذي يتفـق مـع التوجـه نحـو حـل قضـايا الصـراع العربـي الإسرائيلي بالوسائل السلمية والمفاوضات مالم تكن إسرائيل قد طرحت الخيار السلمي في إطار السلام الإسرائيلي الذي ينـاقض مفهـومالسـلام الشـائع عالميـاً وإقليميـاً والـذي قبلـت بموجبـه الـدول العربيـة التفـاوض وفـق مرجعيـة دوليـة نسـميها الشـرعية الدوليـة فـي شـأن القـدس وبحسـن نيـة واضـحة مـن جانب كـل الأطراف العربية، بما يفترض معه أن يكـون حسـن النيـة هـو رائـد إسـرائيل والولايـات المتحـدة منزهـاً عـن الغـش والتـدليس، وكلهـا مفـاهيم لا خـلاف عليهـا فـي أصـول القـانون منذ انحدرت إلى نا من الرومان الذين أكدوا أن الغش يفسد كل شيء، ولا يجوز لمن يرتكب الغش أن يستفيد من عمله.

ولعـل طـرح الجوانـب القانونيـة لهـذه المسـألة الخطـيرة يوجـب تحديـدها في الملاحظات الخمس الأساسية التالية :

الملاحظة الأولي هناك في العالم العربي من يعتبر المنهج القانوني ضرباً من العبث في مواجهة المشروع الصهيوني الثابت على اقتناعاته الأساسية والتي تتحقق باطراد أمام التراجع العربي المستمر، كما أن في العالم العربي وخاصة في الطرف الفلسطيني من اعتقد أن منهج الرئيس السادات المؤكد للسياسة العملية غير المكترث بالقانون الذي يكتسح واقع القوة هو الأولي بالاتباع والتغاضي عن الجوانب القانفية أملاً في خلق واقع يفرض نفسه، ويصبح هو القانون الواقعي . ولقد حذرت في دراسة مبكرة أظنها الأولي وربما الأخيرة من هذا المنهج في تناول قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وذلك في كتابي الذي تفضل الأهرام الاقتصادي بنشره في الأول من ديسمبر ١٩٩٣ بعنوان " النظام القانوني للإتفاق الإسرائيلي الفلسطيني" كما سبق أن لفت النظر اليه في ورقة قدمتها بعد توقيع الإعلان في واشنطن، وذلك في اتحاد المحامين العرب بالقاهرة، وأكدت يومها . ولا يزال ذلك اقتناعي . أن إسرائيل وهى تضرب بالقانون الدولي عرض الحائط تؤكد احترامها للقانون الدولي وتسهب في تبريرها لأعمالها بالقانون وأحكامه، وليس أدل على ذلك من أن فقهاء إسرائيل نشطوا في تكييف العمل العسكري المصري السوري عام ١٩٧٣ لتحرير الأراضي المحتلة على أنه عدوان بموجب أحكام الميثاق، وإعلان تعريف العدوان عام ١٩٧٤، ونشرت كتاباتهم باللغات الأوروبية وصارتمصدراً وحيداً للباحثين الأجانب، بينما قنع العرب بثقتهم في أنهم يحررون أراضيهم وهذه بديهة في نظر العالم كله لاتحتاج إلى تبرير أو تكييف، وحتى الولايات المتحدة وهى ترتكب الإخلال الصريح والصراح لمبادئ القانون الدولي تبرز ذلك بنظرية الدفاع الشرعي عن النفس. ولا غرابة أن هذه النظرية قد أصبحت القاسم المشترك بين واشنطن وتل أبيب حتى أن إسرائيل استندت إلى

هذه النظرية في قتل الأجنة في بطون الأمهات الفلسطينيات، حتى تقطع الطريق على المولود الذي أتي من صلب يعادي إسرائيل إلى رحم لايقل عداء إلى لبن الأم الفلسطينية، فيشب عدواً حتى النخاع .. لهذا السبب فأنا من أشد المؤمنين بالمنهج القانوني فإذا كان هذا المنهج لازماً للمعتدي لتبرير عدوانه وتسويقه فهو ألزم بداهة للضحية الضعيف.

الملاحظة الثانية إنه وإن كانت القدس أرضاً فلسطينية ولأهلها حق تقرير مصيرها، فإن قدسية المدينة جعلت العالم الإسلامي والعربي كله معنياً بمصيرها، ولعلنا نذكر بأن البعد الإسلامي للقضية الفلسطينية لم يتضح إلا بعد استيلاء إسرائيل على القدس الشرقية عام ١٩٦٧ مما أدي إلى توحيد الصفوف العربية والإسلامية من أجل القدس ومن أجلها قامت منظمة المؤتمر الإسلامي التي اتخذت من مدينة جدة مقراً مؤقتاً بديلاً عن القدس حتى تتحرر . ولذلك لا يجوز للفلسطينيين أن ينفردوا بالتفاوض حول القدس إلا بقدر ما تمثله المدينة من تراب ووطن محتل، ولابد من اشتراك العالم الإسلامي بطريقة عملية بوصفه طرفاً ذا مصلحة محققة في قضية القدس . ولعلنا نذكر أن مصر وهى تتفاوض مع إسرائيل في كامب ديفيد ١٩٧٨، وواشنطن عام ١٩٧٩ قد استشعرت خطورة قضية القدس التي لا يملك طرف الإنفراد بتقرير مصيرها فأصرت على التحفظ بأن أية تسوية للقضية لا يجب أن تمس مركز القدس المعتبر في إطار شرعية خاصة تتجاوز كونها أرضاً محتلة تلحق بالضرورة بوضع بقية الأراضي الفلسطينية، ما دامت مصر لم تتمكن من حسم قضية القدس في سياق تسوية النزاع في جانبه المصري الإسرائيلي، ولابد أن أؤكد أن تحفظ مصر على وضع القدس لم

يكن يعني كما زعم البعض ممن لا يحسنون تفسير الأحداث الهامة أن مصر قالت كلمتها ومضت وإنما الصحيح أن مصر بثقلها وحسها السياسي والديني تضع القدس في مقدمة أولوياتها .

الملاحظة الثالثة،واتصالاً بالملاحظة السابقة فان الاتفاق في أوسلو على تأجيل عدد من القضايا، ومن بينها القدس إلى المرحلة الأخيرة من مفاوضات الحكم الذاتي، لا يعني التخلي عن القدس أو التسليم بواقع التهويد وتغيير الهوية الجغرافية والحضارية والديموغرافيه للمدينة، وفرض أمر واقع مرير لا سبيل إلى مواجهته ولكنه يعني في نظرنا النتائج القانونية الآتية .

أولا : أن مجرد موافقة إسرائيل على الإشارة العابرة للقدس ولو لمرة واحدة في الإتفاق الذي أكده مجلس الأمن، وصار جزءاً من الشرعية الدولية حول القدس بقدر انسجامه مع قوامها وعناصرها الأساسية يعد إقراراً من إسرائيل أن إجراءاتها في القدس وموقفها من القدس ليس نهائياً، وأن القدس قضية قابلة للتفاوض ولو في المرحلة الأخيرة من المفاوضات، كما أنه لا يتصور أن يؤكد مجلس الأمن عام ١٩٨٠ عدم شرعية قرار ضم القدس واعتبارها عاصمة أبدية لإسرائيل، ثم يؤكد بعد ذلك أهمية إتفاق أوسلو بمفهوم إسرائيلي وإلا كان عمل المجلس لغواً ننزهه عن الوقوع فيه، ولقد استشعرت إسرائيل ذلك فحاولت تعديل مضمون الشرعية الدولية حول القدس في المجلس والجمعية العامة .

ثانياً :أن تعهد إسرائيل في إتفاق أوسلو حول القدس ينتج أثراً مانعاً لإسرائيل من إتخاذ أي إجراء منفرد منذ لحظة توقيع الإتفاق، ويطلق على هذا الأثر في

القانون وهو فترة تجميد وضع القدس على الوضع الذي كانت عنده منذ لحظة توقيع الإتفاق حتى الانتهاء إلى وضع نهائي متفق عليه بالتفاوض .

ثالثاً : تعتبر تصريحات زعماء إسرائيل الذين يؤكدون أن وضع القدس قد تقرر منذ عام ١٩٦٧، وخلال أحداثها قرينة ظاهرة على سوء نية إسرائيل في طرحها للخيار السلمي لأنه لا قيمة لأي خيار سلمي ما دامت الأوضاع الإقليمية قد تقررت نتيجة حرب ١٩٦٧، كما أن ذلك يعني أن المنهج الانتقائي لإسرائيل لمفهوم الخيار السلمي يهدم فكرة السلام من أساسها .

الملاحظة الرابعة : لا يجوز أن يحتكم العالم العربي والإسرائيلي في شأن تصرفات إسرائيل في القدس إلى القضاء الإسرائيلي، وإنما يجب الاحتكام إلى أحكام القانون الدولي باعتبار القدس أراضي محتلة .

الملاحظة الخامسة : لا يجوز لإسرائيل تجاهل قرارات مجلس الأمن وإرغام البعثات الأجنبية على الإنتقال إلى القدس من تل أبيب- صحيح أن الدولة هى التي تقرر مكان عاصمتها، وعلي الدول الأجنبية أن تقبل ذلك وأن تنقل إلى العاصمة بعثاتها، لكن هذا الوضع لا ينطبق على القدس ذات الوضع الخاص .وأخيراً فإنه من المهم عزل موضوع القدس عن أية تطورات اخرى في العلاقات بين إسرائيل وسوريا، فلكل مسار وضعه واعتباراته، ذلك أن السلام من الجانب العربي ليس صفقة شاملة في مواجهة إسرائيل، أي أنه لا تتوزع مكاسب السلام بين الأطراف العربية بحيث يجبر اللين مع طرف والجور مع طرف آخر، إنني أطالب بعمل جاد في المجال القانوني لا يصادر على المجالات الاخرىولكني أزعم أن المجال القانوني لو أحسن استخدامه سياسياً وإعلامياً

لأتي ببعض الثمار في هذه الجبهة الحيوية، وقد يكون من المناسب النظر في جدوي عقد مناظرة عالمية بين الفقهاء المسلمين والعرب والإسرائيليين تذاع وتشاهد على أوسع نطاق حول الجوانب القانونية للقدس، وبذلك نخلق رأياً عاماً قوياً جنبا إلى جنب مع اللجوء إلى محكمة العدل الدولية وأرجو إن صح العزم على ذلك أن يتم إعداد مشروع قرار بذلك من الجمعية العامة للأمم المتحدة .

السفير/ سعيد كمال

رئيس إدارة فلسطين بالجامعة العربية (سابقاً)



المطلوب إنسحاب إسرائيل

الوثيقة الصادرة من جهات مسئولة ومراكز بحوث إسرائيلية تنفي أن القدس عاصمة موحدة إسرائيلية .. وتؤكد أنها جزء من الأراضي المحتلة .. وبالتالي لا يحق لإسرائيل أن تزعم لنفسها أي حقوق تاريخية أو سياسية، وإسرائيل ستستمر في تكرار أن القدس عاصمة أبدية ولكنها وقعت في وثيقة إتفاق المبادئ على أن القدس بند من بنود التفاوض، فإسرائيل تريد أن تدفع القدس إلى ما بعد إنتخابات ١٩٩٦ .

ولن أستبق الزمن بالحديث عن مصير القدس، فالقدس بالنسبة لي وللجامعة العربية والأمم المتحدة أرضٍ فلسطينية يجب الانسحاب منها بموجب القرار ٢٤٢ وهناك خطاب حصلت عليه منظمة التحرير الفلسطينية في إتفاق أوسلو من إسرائيل يقول أن إسرائيل تلتزم عدم المساس بهوية القدس من جميع النواحي على أساس أنها مؤجلة إلى المرحلة الأخيرة .. وفلسطين يعنيها القدس كأرض وليس كولاية دينية، وإسرائيل في هذا الوقت -كما يقول أمين عام

جامعة الدول العربية – لا تنشئ مقابل ثغر واقفاً إلى حين استعادة القدس العربية وهى لها مكانة مرموقة لدى الدول الإسلامية والمسيحية، وحكومة إسرائيل سواء من الليكود أو العمل تتقيد بما التزمت به الحكومة السابقة والتصريحات غير المسئولة لايمكن أن نعتد بها أو نعترف بمشروعيتها أو بمصداقيتها وصحتها والقرارات التي أصدرتها الأمم المتحدة بخصوص القضية الفلسطينية تعطي لمدينة القدس أهمية خاصة باعتبارها جزءا من الضفة الغربية، والضفة جزء من الأراضي الفلسطينية المتفق على استعادتها كاملة ضمن المرحلة الثانية من مفاوضات الحكم الذاتي بين الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني .

والمزاعم الإسرائيلية من أن مدينة القدس عاصمة موحدة للدولة الإسرائيلية عملية للضغط ولممارسة شروط جديدة تصعِّب أو تعوق العملية السلمية، فإسرائيل تعرف جيداً أن القدس أرض فلسطينية محتلة، ولهذا السبب تحاول التسويف والتقليل من هذا الحق سواء بما نراه من عمليات توسيع للمستوطنات والمستعمرات الإسرائيلية أو بما نلاحظه من عمليات تهويد للمناطق العربية المعروفة بتراثها وهويتها العربية والإسلامية داخل مدينة القدس الشرقية المحتلة، وفي جميع الأحوال فالقضية هى احدى الثوابت الفلسطينية التي لا يمكن التنازل عنها لأن القدس هى عاصمة لدولة فلسطين المستقلة .

وبلاشك أن إسرائيل تريد تحقيق مكاسب من عملية السلام وتري أنه بمصادرة أراضي القدس يمكنها الحصول على مكاسب، وإسرائيل تضع خطوات لتهويد القدس والسلطات المتعاقبة استطاعت خلق واقع جغرافي وسكاني في القدس الشرقية، واستطاعت أن تقفز بالسكان اليهود في القدس من صفر عام

١٩٦٧ إلى ١٦٠ ألف عام ١٩٩٣ وشكلوا لأول مرة أغلبية يهودية في الجزء الشرقي من المدينة وإسرائيل لا تسمح بالبناء على أكثر من ٥٦% من مساحة الأرض بالنسبة للسكان العرب من خلال خطط وزارة السكان بينما تسمح بالبناء لليهود في أي مكان، وأنه من خلال مخططات الإسكان الإسرائيلية جرى تقسيم القرى العربية بالقدس وأحاطوها بالمستعمرات من جميع النواحي وإنهاء وجودها وتحويلها إلى أبنية موزعة وبعيدة إضافة إلى تدميرها وربطها بالسوق الإسرائيلي .. وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت القدس واقعة تحت السيطرة الإسرائيلية ولم يعد يتبقي للعرب سوى ٤% من مساحتها.

وقضية القدس ستحل بالإنسحاب الإسرائيلي منها باعتبارها من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧ وكل ما تفعله وتصرح به بشأن القدس مراوغة سياسية، وفي النهاية ستعمل على حل المستوطنات وستترك القدس لأهلها وما سيتم التفاوض حولها ليست القدس الشرقية التي تقع شرقي حدود خط الهدنة إنما القدس بكاملها .. ولا يوجد إقرار على مستوى المجتمع الدولي بما قامت به إسرائيل في غرب القدس.



أنور محمود زناتي
أستاذ التاريخ - بجامعة عين شمس

القـدس مدينـة عربيـة النشـأة، سـكنها العـرب اليبوسـيون قبـل خمسة آلاف سنة ، حيث يعتبر هؤلاء أول من أسس المدينة المقدسة حيث سموها (يبوس) في حوالي عام (٣٠٠٠) ق.م أي قبل نحو خمسة آلاف عام . وكانت لغتهم اللغة الكنعانية هي اللغة السائدة، وهي لغة عربية قديمة، كان يتكلم بها أهل الجزيرة العربية قبل هجرتهم، ثم تفرعت عنها لهجات أخرى، ومنها ما سمي اللغة الكنعانية هذه؛ فهي إذن – وكما سنثبت لاحقـاً –عربيـة المنشـأ والتطـور ، وقـد قَـدم إليهـا العـرب الساميون في هجرتين كبيرتين : الأولى في بداية الألف الثالث قبـل المـيلاد، والثانيـة فـي بدايـة الألـف الثـاني قبـل المـيلاد ، والمؤكد أنه عندما قدم اليهود إليها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد كان الشعب الموجود أصلا شعباً عربياً أخذ منه اليهود لغته ، ومظاهر كثيرة من ديانته وحضارته.

فالوعـد الغـامض المقطـوع لأسـباط إبراهيم بـأرض الميعـاد الممتـدة مـن نهـر مصر (النيل) إلى النهر الكبير (الفرات) هو وعد قطعه الله لنسل إبراهيم في جميع أرجـاء المعمـورة، قبـل مولـد إسماعيـل وإسـحاق. وعلـى ذلـك فهـو وعـد مقطـوع

للعرب واليهود، من أبناء إبراهيم جميعا، ولم يقطع بأن أرض الكنعانيين هي لليهود وحدهم، أولئك الذين لم تعمر لهم الدولة.

ويؤكد العلامة جيمس هنري بريستد أنه : "عندما دخل العبرانيون أرض فلسطين وجدوا فيها قبائل كنعانية تقيم في المدن الزاخرة، واقتبس هؤلاء العبرانيون من الحضارة الكنعانية كما يقتبس المهاجرون الجدد إلى أمريكا العادات والتقاليد، والأخلاق والملابس من الأمريكان ، وكانت المدن الكنعانية ذات حضارة قديمة فيها كثير من أسباب الراحة وحكومة وصناعة وتجارة وديانة" . وقد حافظت فلسطين أو القدس على كيانها العربي سنين عددا .. وظلت أزماناً تحافظ على وحدتها وتضعف أزماناً أخرى ، ولكن حياة العرب فيها من الكنعانيين لم تختف بما وقع لها من غزوات العبرانيين أو الفرس أو اليونان أو الرومان. وكل ما في الأمر أنها بلاد قد تداولتها أيدي الغزاة دون أن تفقد أهلها وأصحابها".

وأرض فلسطين باعتراف التوراة ذاتها كانت أرض غُربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل إسحق وآل يعقوب؛ إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين. وتؤكد لنا التوراة غربة اليهود عن القدس، ففي سفر القضاة ١٩:١١ و١٣ تجد قصة رجل غريب وفد مع جماعة له إلى مشارف (يبوس).. وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر ، قال الغلام لسيده: "تعالَ نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها» فقال له سيده: لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا".

وهذا نص آخر يؤكد أن إبراهيم عليه السلام كان غريباً فرداً في أرض كنعان تقول نصوص التوراة : «وتغرّب إبراهيم في أرض الفلسطينيين أياماً كثيرة

». ونص آخر يقول: «وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أَبِيهِ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ» . وكانت كل أمنية سيدنا إبراهيم أن يُعْطَى من أهل فلسطين مساحة قبر لزوجته سارة: «أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ. أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي».

وفي موضع آخر بالتوراة: " وَحَارَبَ بَنُو يَهُوذَا أُورُشَلِيمَ وَأَخَذُوهَا وَضَرَبُوهَا بِحَدِّ السَّيْفِ، وَأَشْعَلُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ وَبَعْدَ ذلِكَ نَزَلَ بَنُو يَهُوذَا لِمُحَارَبَةِ الْكَنْعَانِيِّينَ سُكَّانِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ". كما أورد المؤرخ اليهودي يوسفوس أن "الملك داوود طرد الكنعانيين من يبوس وأسكن أهله فيها" ويتضح من ذلك أن مدينة سالم (أورشليم) هي مدينة كنعانية أي عربية دخلها اليهود بحد السيف، وأن المصادر اليهودية قبل العربية والإسلامية تشهد بعروبة فلسطين، ومدينة القدسوالعجيب أن تسمية أورشليم التي يحاول الصهاينة اليوم عدها من الأسماء العبرية هي في الحقيقة كلمة كنعانية عربية أصيلة وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي وجدت في مصر قبل ظهور اليهود بعدة قرون ، ثم بعد أن ظهر اليهود وتكونت اللهجة العبرية المقتبسة عن الآرامية في وقت لاحق صار اليهود يسمونها بلغتهم العبرية " يروشلايم " . لذلك فدعوى اسم " أورشليم " عبري الأصل دعوى باطلة لا تستند إلى مصدر تاريخي وهو ما يفسر لنا سبب إقدام إسرائيل على تحويل المتحف الفلسطيني إلى مقر لدائرة الآثار الإسرائيلية ونهب ما به من آثار ، والقضاء على أي أثر كنعاني فلسطيني .

إن شهادة ميلاد القدس الشريف تؤكد أنها عربية الأصل في النشأة والتكوين، فقبل الميلاد بنحو ثلاثة آلاف عام، كانت أولى الهجرات العربية

الكنعانية إلى شمال شبه الجزيرة العربية، واستقرت على الضفة الغربية لنهر الأردن، أي المنطقة الجبلية من فلسطين، منسابة إلى البحر المتوسط. وسميت الأرض: من النهر إلى البحر، بـ "أرض كنعان" ، وقد أسس الكنعانيون – ومنهم اليبوسيون – حضارة كنعانية ذات طابع خاص ورد ذكرها في ألواح (تل العمارنة) (٢٦) ومن ملوكهم (ملكي صادق) ، وهو أول من اختط (يبوس وبناها) ، وأنشأ هؤلاء الكنعانيون مدينة (أورسالم) وكان لهم نتاج حضاري، لم يقتصر على الزراعة وتربية المواشي، بل اندفعوا إلى مجال الصناعة، فمهروا في صناعة النحاس والبرونز وصنع الفولاذ، كما استعملوا الأواني الفضية وبرعوا في الصياغة، ولقد اكتشفت أنواع الحلي النسائية والأسلحة الحربية والزجاج التي تعود إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد في عصر الكنعانيين ، أما أعظم المنح التي قدمها الكنعانيون للعالم والتي تعتبر مفتاح التحضر الإنساني فهي الأبجدية التي لا تزال تعرف باسمها العربي الألف باء.

ثم استقبلت تلك المنطقة . ٢٥٠٠ ق.م . بعض القبائل القادمة من جزر البحر المتوسط، تسمى قبائل (فلستين) إلى سواحله الشرقية الجنوبية، عُرفوا بسكان السواحل أو (بالستين). واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالكنعانيين، لكن غلب الدم الكنعاني على هذا الشعب، وغلب اسم (بالستين) على المكان(٣٠) ، وتؤكد أعمال التنقيب البريطانية التي تمت في تلك المنطقة، عام ١٩٦١، أن الوجود الكنعاني اليبوسي بها، وبالقدس تحديداً ، يعود إلى ثلاثة آلاف عام. حيث أجرت تلك البعثات العديد من أعمال التنقيب، ولم تعثر من خلالها إلا على فخاريات منقوش عليها، باللغة الكنعانية، أن المؤسسين الأوائل

لمدينة القدس هم اليبوسيون، كما كشفت تلك البعثة أنه كان بالمنطقة، التي وجدت بها تلك الآثار، قلعة لليبوسيين(٣٣).

وقد وجد عالم الآثار "برنارد" من جامعة "ويلز" آثار لقبائل هاجرت إلى نواحي القدس قبل حوالي ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد، وهذا ينفي مزاعم اليهود بأن القدس تأسست حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م على يد داود David عليه السلام (١٠١١ – ٩٧٢ ق.م) ، وأن المدينة شهدت منذ العصر البرونزي الأول (أي بداية الألف الثالثة ق.م) مرحلة العمران المبكر(٣٤).

ويقول المستشرق الفرنسي المنصف جوستاف لوبون عن التواجد اليهودي بفلسطين بأنهم: "قضوا زمناً طويلاً ليكون لهم سلطان ضئيل في فلسطين لا أن يكونوا سادتها" . ويضيف: " وفي فلسطين كان يعيش اليبوسيون ...، وكان السلطان في فلسطين للفلسطينيين ... ، وكان ذلك حتى عهد داوود . ولم تكن لهؤلاء اليهود لغة، أو ثقافة، أو حضارة خاصة بهم، وإنما كانوا يقومون على تراث كنعاني بحت كما تؤكد لنا ذلك الأحداث التاريخية. وهكذا بقيت القدس، بل كل فلسطين، كنعانية في ثقافتها، وفي حضارتها، ولغتها "(٣٥) . فعلى طول الخريطة المديدة لتاريخ مدينة القدس، لم يكن لبني إسرائيل غير علاقة عارضة بهذه المدينة العريقة، ترامت هذه العلاقة بين سنوات متفرقات، كتلك التي أمضوها في بقاع أخرى من العالم، فيما بعد.

وتؤكد الأحداث التاريخية أن العرب من بني إسماعيل والقداريين منهم خاصة قد سكنوا القدس القديمة، وقد انضووا مع بني جلدتهم العرب اليبوسيين، ولم يستطع بنو إسرائيل أن يخرجوهم من أرضهم طيلة تاريخهم الطويل فاكتفى

سليمان عليه السلام (٩٧٢– ٩٣٣ ق.م) فيما بعد بفرض السخرة عليهم كما ورد في العهد القديم. أما داوود عليه السلام فلم يستطع فرض سيطرته على القدس كلها إذ شغل منها حصن صهيون فقط في الجزء الجنوبي من التل الشرقي. ونقل داوود تابوت الرب إلى مدينته، الذي كان غالباً ما يصحبه في حروبه، وهكذا فإن مدينة داوود لم تكن عاصمة سياسية ولا دينية لملكه، وإنما كانت تمثل في الحقيقة نقطة حصينة ومركزاً عسكرياً أحاطه بسور، ولم يكن الاتصال بين مدينة داوود ومدينة القدس "يبوس" سوى إطار شكلي يمثل اتصال سور قلعة داوود بالسور الذي أقامه اليبوسيون حول المدينة قبل عهد داود بوقت طويل، ويؤكد ذلك ما قاله نحميا النبي عندما يشير إلى إعادة بناء السور" فبنينا السور واتصل كل السور" ولعل ما فعله داوود عندما طلب من أرونة اليبوسي بيدره ليبني فيه مذبحاً للرب ليشير بوضوح إلى اعترافه بملكية اليبوسيين لمدينة القدس.

وبالرغم من تعاقب الآشوريين والبابليين والإغريق والرومان على فلسطين، إلا أن أهلها لم ينفكوا عن الأرض ولا اقتلعوا منها، ويؤكد دي سي أوليري في كتابه (Arabia Before Muhammad): "أنّ معظم الفلاحين الفلسطينيين الحاليين هم أنسال تلك الأقوام التي سبقت الإسرائيليين".

وليس صحيحاً —كما سبق وأشرنا – ما تزعمه الصهيونية من أن اليهود قديماً همَ من أسسوا مدينة أورشليم (القدس)فالثابت علمياً أن هذا الاسم مأخوذ من لغة الكنعانيين العرب وهو مركب من كلمتين كنعانيتين (يوري) ومعناها مدينة و(شليم) وهو اسم إله كان الكنعانيون يعبدونه ومعناه السلام ،

وكانت في الأصل قبل ذلك تحمل اسم (يبوس) نسبة إلى أحد بطون الكنعانيين حيث أقيمت حول بئر ثم حولت بعد ذلك إلى حصن نظراً لموقعها الحصين وكانت مركزاً لعبادة الكنعانيين أول من سكنوا تلك البلاد.

والجدير بالذكر أن أول إشارة إلى أقدم أسماء فلسطين – هي أرض كنعان – توجد في حفريات تل العمارنة التي يرجع عصرها إلي خمسة عشر قرنا قبل الميلاد والاسم الذي تذكره هذه الحفريات هو كيناهي أو كيناهنا kinahna، kinahi وأصله كنعان kana'an ، وأشارت هذه الحفريات بهذا الاسم إلي البلاد الواقعة غربي نهر الأردن ومنها سوريا كما أن كنعان هو الاسم الذي تذكر به التوراة هذه البلاد ومن ثم يستطيع القارئ أن يستوضح من ذلك أن الكتاب المقدس(٤٦) The Bible لليهود " التوراة " يعترف بأن فلسطين ليست بلادهم وأنهم أتوا إليها نتيجة الغزوة التي قام بها يوشع Joshua بن نون إلي هذه البلاد(٤٧).

وهو ما يؤكده د. ل.كارنييف: " ... فالفلسطينيون المعاصرون هم أصحاب الحق، والكنعانيون هم سكان فلسطين عبر التاريخ، وإسرائيل في الأصل قبيلة صغيرة، قامت بالغزو طمعاً في أرض كنعان ذات الثقافة العالية، والتي سميت بعد ذلك فلسطين " . ويعلق " جوزيف ريان "قائلاً : " نتيجة للحجج الصهيونية فإن الانطباع الذي تكون في بعض الأوساط هو أن أي تاريخ ذي أهمية تذكر في فلسطين قد تقف في سنة ٧٠ م وأنه لم يبدأ السير ثانية إلا مع الحركة الصهيونية بقياد تيودور هرتزل (Theodor Herzl).

ونؤكد على أنه لم يبق في أرض المسجد الأقصى حجر واحد مما بناه سليمان عليه السلام لأن الهيكل الذي بناه سليمان انهدم واحترق ، ونقلت حجارته بعد موت سليمان بثلاثة قرون عندما غزا نبوخذ نصر (٦٠٥ – ٥٦٢ ق.م) مدينة القدس سنة ٥٨٩ ق.م. كما أن تيطس Tituus عام ٧٠ م أحرق المعبد الذي بناه هيرودوس سنة ٢٠ ق.م ورمى بحجارته بعيداً.

كما أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي وصف القدس فلم يذكر شيئاً عن الهيكل، وهذا يعني أن الهيكل الذي دّمره تيطوس سنة ٧٠ م لم تقم له قائمة بعد ذلك، ومنذ سنة ١٣٥ م إلى الفتح الإسلامي لم يكن يسمح لليهود بالإقامة في القدس.

إنّ أولى الأمم والشعوب بالحق التاريخي هم العرب الفلسطينيون لأنهم أصحاب الأرض الشرعيون، الذين سكنوا فيها آلاف السنين، ووجود اليهود في فلسطين على شكل مملكة أو أكثر لمخذت حيزاً صغيراً من أرضها- لم يكن لإ وجوداً طارئاً ولفترة زمنية قصيرة ليس لها أهمية تذكر إذا ما قورنت بمئات القرون من السنين التي قضاها العرب في فلسطين.

كما أن مدة السبعين سنة تلك كانت مدة غزو واحتلال تقارب في عمرها الاحتلال البريطاني لمصر وهي لهذا لم تخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها ، ولم تعط بأي شكل من الأشكال حقا تاريخيا لليهود في فلسطين ، والأهم أن نلاحظ دائما بصدد الغزوة اليهودية أن أهل البلاد الأصليين لم يجلو عنها بل استمروا في حياتهم القومية يعيشون في مدنهم وقراهم ومزارعهم وبالتالي صاحب الحق القومي في فلسطين هم الكنعانيون وأحفادهم من العرب.

وقد صرح المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي فقال "إن إسرائيل برمتها كانت وما تزال وستبقى من الوجهة القانونية ملكا للعرب الفلسطينيين الذين أخرجوا من ديارهم بالقوة".

وفي رسالة مشتركة بعث بها أرنولد تونيبي وجيوفري فيرلونج إلى التيمز في ١٥ آذار ١٩٧١، عقب ما نشر عن إدانة مجموعة من كبار المهندسين ومخططي المدن في العالم للمشروع (الإسرائيلي) (لتطوير المدينة)، أبديا قلقهما للتخريب المتعمد الذي يلحق بالمدينة المقدسة، وطالبا أولئك المدعين بالتحدث باسم الشعب اليهودي التفكير ملياً بهذا الشأن، وما يبدو مثيراً للدهشة بنظر الكاتبين إحجام العالم المسيحي عن انتقاد سياسة الانتهاك التي تتبع بتصميم في المدينة، في وقت تشير فيه الأدلة السياسية والإنسانية والجمالية إلى نتيجة محزنة، هي تخريب المدينة.

ونورد شهادة الكاتب اليهودي ألفريد لينتال، حيث قال: "إن الكنعانيين هم أول من جاء إلى فلسطين ثم تتالت بعدها القبائل العربية ثم القبائل

العبرية "؛ فالقدس إذن خالصة العروبة أبداً وأزلاً وما وجود اليهود فيها إلا فترة انتقالية تمثل سبعين عاما فقط أو سبعة وتسعين عاما على عهد داود وسليمان عليهما السلام. كما أن الأدلة التاريخية أكدت أن أكبر رقعة استطاعت دولة داود امتلاكها من "دان" (تل القاضي) في شمال فلسطين إلى "بئر السبع" في جنوبها، ولم يكن لبني إسرائيل وجود في أي موقع على الساحل الفلسطيني ولا في الجليل شمالي فلسطين باستثناء موقع صغير عند تل القاضي، كما تشير الأدلة التاريخية إلى أن داود مثله في ذلك مثل شاؤول Saul (طالوت

كما ورد ذكره في القرآن الكريم من قبله، كان ملكاً يرأس تحالفاً من القبائل الإسرائيلية التي سكنت الهضاب الفلسطينية.

مما سبق يتبين بوضوح لنا أنّ فلسطين سواء سكنها اليهود فترات متصلة أم منقطعة –وهم غرباء عنها– قد غزوها بهدف الاستيلاء عليها والاستيطان فيها، وكان فيها من قبل: أصحابها الأصليين (الكنعانيون والفلسطينيون) الذين استقروا فيها قبل قدوم إبراهيم عليه السلام وأسرته بمئات السنين، وعاش فيها يعقوب عليه السلام فترة من الزمان ، وخاصة في البوادي حيث الماء والمرعى، ثم ذهب إلى مصر بأفراد لا يزيدون عن سبعين رجلاً.

إنّ مقارنة الوضع التاريخي للعرب في فلسطين بالوضع التاريخي لليهود فيها تظهر بلا أدنى شك: أنّ امتلاك العرب لفلسطين قد بدأ قبل خمسة أو سبعة آلاف سنة، ولم ينقطعوا عنها في يوم من الأيام، حتى يومنا هذا.إنّـه أقوى امتلاك راسخ في تربة هذه الأرض، في حين أنّ الممالك اليهودية الصغيرة قامت فترة محدودة من الزمان ثم تلاشت قروناً طويلة، ولم تظهر إلاأخيراً – سنة ١٩٤٨م – من خلال الاستعمار البريطاني والمساعدة الأوروبية الأمريكية، ولا عبرة للوعد الإلهي المقدس الذي اختفى عدة قرون دون أن يعبأ به التاريخ.

لقد كان تزييف التاريخ لدى قادة ومنظري الحركة الصهيونية Zionism شرطا أساسيا لاحتلال فلسطين. ومن هذا المنطلق عكفوا على قراءة التاريخ وإعادة صياغته، قافزين على الحقائق ومزيفين وقائع السنوات والقرون. بهدف احتلال القدس وجعلها عاصمة للدولة العبرية المقامة على أرض فلسطين. ولتحقيق هذا الهدف أمطروا جامعات العالم ومراكز البحث العلمي بالدراسات

التي يدّعون بأنها حصيلة الأحافير في بيت المقدس. وهذه الدراسات لا تزيف التاريخ فحسب، وإنما تلغي السمات الحضارية المتميزة للمدينة المقدسة والتي تُجِّذر حقيقة طابعها العربي والإسلامي.

ويسخر خبراء القانون الدولي من مجرد فكرة إعادة تشكيل الخريطة السياسية للعالم على أساس غزوات وهجرات وتوزيعات الماضي الغابر، ويعدونها أمراً زائفاً بالواقع والقانون.

كما أنه على الرغم من مرور قرن ونصف تقريبا على أعمال الحفائر الأثرية في مدينة القدس ، استهدفت العثور على أدلة تؤكد ما ورد في النصوص التوراتية إلا أنهم لم يعثروا على أي دليل أثري يؤيدها.

ونؤكد على حقيقة أخرى وهي أنه لا علاقة ليهود اليوم بأية ادعاءات، فما علاقة اليهود الذين قدموا إلى فلسطين من جميع دول العالم وهم ينتمون في الأصل إلى أعراق وأجناس وقوميات شتى لا تربطهم بيعقوب (إسرائيل) أية علاقة قومية أو عرقية، ما علاقة اليهود المجموعين من أنحاء وأشتات الأرض بفلسطين الأرض المباركة؟

فمن المؤكد أن اليهود المعاصرين هم خليط من جميع الأجناس الزنوج والمغول، ولا يمكن نسبتهم إلى أسباط يعقوب عليه السلام بأي وجه من الوجوه؛ إذ لا علاقة لليهود المعاصرين بهم على الإطلاق ، فمن الثابت تاريخياً أن كثيراً من الشعوب المختلفة المتعددة الأعراق اتبعت الديانة اليهودية وقد ساعد على ذلك انتشار اليهود وتفرقهم بين الأمم في ربوع الأرض خاصة بعد طردهم من

فلسطين أكثر من مرة كان آخرها في العصر الروماني نتيجة للفتن والصراعات التي كانوا سبباً في اشتعالها في المنطقة.

ورغم محاولات اليهود الإيحاء بأنهم السلالة الباقية من (بني إسرائيل) إلا أن هذا الزعم يصطدم بشدة مع حقائق التاريخ ؛ فحقائق التاريخ وأبحاث علم أجناس البشر –التي لا يمكن إخفاؤها– تذكر أنّ خروج بني إسرائيل من مصر وضع حداً فاصلاً بين عهد النقاء وعهد اختلاط الدم، أي حصل اختلاط بين بني إسرائيل وغيرهم نتيجة ترحلاتهم السابقة من العراق إلى فلسطين، ومن فلسطين إلى مصر، ثم من مصر إلى فلسطين في زمن إبراهيم عليه السلام، ثم ترحلاتهم من فلسطين إلى مصر في زمن يعقوب عليه السلام، والتي استقروا فيها أزماناً ليست بالقصيرة حتى أكرمهم الله تعالى بموسى عليه السلام Moses الذي نجاهم من ظلم فرعون، وانتقاله من مصر للذهاب إلى الأرض المقدسة التي دخلوها بقيادة يوشع Joshua بن نون فتى موسى عليه السلام. ولذا يسخر أحد الباحثين المنصفين قائلاً " إن قولنا إن اليهودي الإنجليزي واليهودي المراكشي هما من نفس الأمة ، ليس أصح من قولنا إن الإنجليزي المسيحي والفرنسي هما من نفس الأمة !! ".

ومن المؤكد أيضاً أن اليهود الذين يعيشون في أمريكا وأوروبا وغيرها من بقاع العالم لا يمكنهم ادعاء التماثل والتشابه مع أولئك الذين عاشوا قبل ألفي عام في فلسطين ؛ لأن القبول بإدعائهم وراثة أولئك اليهود القدامى سيبلغ حد الاعتراف بالأسطورة العنصرية العرقية وخطرها لا يقل عن خطر فلسفة هتلر وزملائه في النازية ، وقد أجرى البروفسيور شابيرو Shapiro رئيس قسم

الأنثربولوجيا في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي دراسة مستفيضة عن التاريخ البيولوجي للشعب اليهودي ، وفيها يقول إن اليهود " ليسوا أسرة ولا قبيلة ولا أمة بالمعنى الصارم للكلمة " وبعد تتبعه تاريخ اليهود يؤكد " أن الاختلاف الواضح في الصفات الجسمية للسكان اليهود ، وتنوع الجينات الموروثة المتوافرة في فئات دمهم ، تجعل إدراجهم تحت أي تصنيف عرقي موحد هو التناقض بعينه". فالحقيقة الأنثربولوجية تؤكد أن اليهود مختلفو العرق ، ولا أساس للادعاء بوجود عرق يهودي.

وما يزعمه اليهود من وجود صلة لهم بفلسطين غير صحيح، لانتمائهم إلى (الخزر) الوثنيين، – حين كان معبودهم في زمن المسيح هو عضو التذكير –. ففي غضون القرون الميلادية المتتابعة اعتنق اليهودية أفواج كبيرة بلغت ذروتها عندما اعتنق حاكم مملكة الخزر الوثنية Paganism وكبار رجال مملكته الديانة اليهودية ثم تبعه شعبه بالكامل، وبذلك تهودت المملكة بالكامل – وكانت في جنوب روسيا بين نهرى الفولجا والدون وتمتد حتى شواطئ البحرين الأسود و بحر قزوين– . ومما يؤكد ذلك الرسائل المتبادلة بين أحد مستشاري الخليفة الأموي الأندلسي (عبد الرحمن) وهو الطبيب اليهودي (حسداي بن شابروت) وبين حاكم هذه المملكة المسمى (عبوديا) والذي كان يلقب بـ خاقان ، وتؤكد هذه الرسائل أن اليهودية ازدهرت ازدهاراً كبيراً في هذه المملكة بعد أن اتخذت اليهودية ديناً رسمياً له وأنشأت بها العديد من المدارس لتعليم التوراة والتلمود وكثير من المعابد اليهودية ، ثم قُضِيَ على هذه المملكة نهائياً سنة ٩٦٩ م حيث زحفت عليها جيوش الدولة البيزنطية وروسيا واقتحمت عاصمتها (اتيل) وأزيلت

تماماً من الوجود وانتشر شعبها في أوربا الشرقية والقوقاز لمصبح بذلك مصدراً من مصادر نشر اليهود في العالم والذين ينتمون إلى أصول هذه المملكة الوثنية وليس لهم أي صلة ببني إسرائيل على الإطلاق.

وقد تتّبع الكاتب اليهودي آرثر كوستلر في كتابه المسمى " القبيلة الثالثة عشرة " (٧٦) أصول يهود أوربا الشرقية، ممن يدعون "اشكنازيم" –وهم معظم اليهود– فأرجعها إلى شعب الخزر– الذين تهودوا –(بحر قزوين) الذين لا يمتون بأي صلة لليهود القدماء.

وأما اليهود قليلو العدد الذين عاشوا في فلسطين إبّان الحكم العثماني فقد انحدروا عن اليهود السفا رديم المقيمين في أسبانيا ١٤٩٢م، وأما معظم اليهود الذي عاشوا في الأقطار العربية فأصولهم تعود إّما إلى العرب ،وإّما إلى بربر شمال أفريقيا الذين تهودوا. وبذلك لا يمكن أن ينتمي أيّ جنس من أجناس يهود اليوم إلى العبرانيين التوراتيين. وبذلك فإنّ يهود العالم اليوم في غالبيتهم الساحقة ينحدرون من الشعب المغولي– شعب الخزر– خاصة وأَن اليهود الأصليين الذين ينتمون إلى القبائل الإسرائيلية (الإثنتى عشرة) في التأريخ القديم قد ضاعت آثارهم.ومن أقواله: " اتفاق الأدلة الأنثربولوجية مع التاريخ في رفض الاعتقاد الشائع بوجود جنس يهودي منحدر من القبيلة التوراتية"(٧٧).

"إنّ الدلائل المعروضة في الأبواب السابقة تدعّم الحجة القوية التي قدمها أولئك المؤرخون المحدثون، سواء منهم النمساويون أو الإسرائيليون أو البولنديون، والذين أثبتوا — مع استقلالهم عن بعضهم – أنّ الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني، وإنّما من أصل قوقازي". إذن ليس للغزاة من

الخـزر والـذين يشـكلون ٩٠ في المائـة مـن يهـود العـالم، والمســمون بـاليهود الاشكيناز، أن يتدخلوا في أمور تتصل بإعادة ترتيب أمور هذه العقائد في تلك البقعة المقدسة لأنهم غزاة غرباء عن هذه الأرض.

والآثار تؤكد أنه لم يقم لليهود كيان سياسي في المنطقة فنصوص رسائل تل العمارنة المكتشفة في مصر، والتي ترجع إلى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد، أثبتت هـذه النصـوص أنّ المجموعـة السـامية الوافـدة مـن الجزيـرة العربيـة علـى سـورية وفلسطين منذ العصر البرونزي الوسيط هم من العرب، وقد استقرت معظم أرض فلسـطين، وبقيـت لهـا السـيادة فيهـا حـوالي ألـف وخمسـمائة (١٥٠٠) سـنة متواصلة، ويدل على هذا الاستقرار الحفريات الأثرية المكتشفة عن بقايا أسوار القدس القديمة اليبوسية.

كما تمكنت بعثة تنقيب أثرية تابعة لجامعة تل أبيب وبمشاركة طلاب من جامعة فرايبورغ الألمانية من اكتشاف قصر كنعاني كبير في منطقة التل الكبير بالجليل الغربي، وقد أرجعه الأثريون إلى ٣٨٠٠ سنة قبل الميلاد. أي قبل أن تطأ أقدام العبرانيين أرض فلسطين بمئات السنين.

والتاريخ أيضاً يؤكد أنه لم يقم لليهود كيان سياسي في المنطقة أكثر من نحو سبعين عاماً على عهد النبيين داوود وسليمان عليهما السلام (١٠٠٤–٩٢٣ ق.م). وحتّى هذه الفترة لم تخل من الخضوع غير المباشر تارة للفينيقيين وأخرى للمصريين، فلقد ذكر كبار المؤرخين –وتشهد بذلك التوراة– أنّ مملكة داود وابنه سليمان كانت مائة وعشرين ميلاً في الطول وستين ميلاً في العرض، وأقّل من ذلك في أغلب الفترة التاريخية، ولا يستطيع أحد أن يثبت أنّ أرض

فلسطين كلها أو معظمها أو نصفها كانت في يوم من الأيام تحت سيطرة العبرانيين فأسفار التوراة تصرّح بأنّ الفلسطينيين ظلّوا يتملكون في هذه الأراضي الجنوبية الساحلية الخصبة، وأن الكنعانيين والفينيقيين ظلوا صامدين في المناطق الشمالية . وبالتالي كان وضعهم وضع غزاة كبقية الغزاة الذين يأتون ويذهبون دون أن يتركوا أثرا على الحياة القومية والتاريخية للسكان الأصليين.

وإذا كان هذا (الاحتلال المؤقت) يمكن أن يعطي للصهاينة حقا تاريخيا في العودة إلى فلسطين ؛ فحينئذ يحق للعرب أن يطالبوا بالأندلس التي ملكوها ثمانية قرون زاهرة متواصلة ، وللترك امتلاك البلقان حتى أبواب فيينا ، ويحق للإيطاليين أن يطالبوا بالجزر البريطانية ، ولو قيض لأمم العالم أن تأخذ بهذا الحكم الصهيوني الغريب الذي لا يقبله منطق سليم ، لسادت بلدانها الفوضى ، ولعم الاضطراب أرجاءها ولانقلبت موازينها ، ولتهاوت مقدراتها .

هذا بينما ظلت المنطقة دائما أرضاً عربية، عريقة في عروبتها . ولم يكن لليهود أي تواجد سكاني يذكر في مدينة القدس منذ العام ٧٠ بعد الميلاد ، وقد تعّرض اليهود –نتيجة فسادهم في الأرض– لحملة من التنكيل والإبادة إذ سلط عليهم القائد الروماني تيطس ، حيث أقدم عام ٧٠م على حرق المدينة المقدسة، وحرق المسجد، ولم يبق فيه حجر على حجر، وحارب الإسرائيليين بلا هوادة، قتل منهم عشرات الألوف، وحظر على الباقين دخول القدس، مما اضطرهم للفرار خارج أرض فلسطين إلى مصر وجزيرة العرب وغيرها . ثم سلّط عليهم طاغية آخر هو (أدريانوس) الذي أزال المدينة المقدسة، وأزاح حطام المعبد المقدس سنة ١٣٥م، وحرث الأرض حرثاً ليقيم مكان الأنقاض معبداً وثنياً سماه

(جوبيتار) على اسم رب الآلهة عند الرومان الوثنيين. ومنذ ذلك الوقت (أي منذ الثلث الأول من القرن الثاني الميلادي) وليس لليهود أثر أو أيّ قيمة تاريخية تذكر على الإطلاق في فلسطين، وبهذا يثبت أنّه منذ ذلك التاريخ إلى منتصف القرن العشرين ١٩٤٨م حيث أقام اليهود لهم دولة في فلسطين أنّه قد مضى على وجود آخر الجماعات اليهودية المتمردة ثمانية عشر قرناً، ومضى على نهاية مملكة سليمان عليه السلام تسعة وعشرون قرناً، وبهذا يتبين سقوط القيمة العلمية أو التاريخية المدعاة زوراً وبهتاناً لحقّ اليهود التاريخي في ملكية فلسطين إلى الأبد.

ومنذ عام ٧٠ م حتى العهد العثماني ، لم يسجل خلال الفترة المذكورة سوى وجود عائلتين يهوديتين في العام ١٢٦٧ بعد الميلاد ، ثم بلغ عدد اليهود في القدس عام ١٥٢٥ بعد الميلاد، أي بعد أقل من عشر سنوات من الإدارة العثمانية نحو ستة آلاف يهودي ، وأخذ التواجد اليهودي في المدينة بالتزايد خلال السنوات التالية ، إلى أن عقد المؤتمر الصهيوني الأول the zionist congress في بازل بسويسرا عام ١٨٩٧ . فاحتل موضوع استيطان وتهويد القدس JUDAIZATION مكانة الصدارة في البيان الختامي للمؤتمر المذكور، ومنذ ذلك التاريخ سعت المنظمات الصهيونية المنبثقة عن المؤتمر الصهيوني الأول كل ما بوسعها لإيجاد واقع جديد في القدس في سياق سياسة سكانية صهيونية مدروسة.

الفهرس